الدكتور: الطاهر سبقاق

طبعة خاصة
وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

من قالمة إلى دمشق ماي 1945
وتستمر المجازر الفرنسية....

من قالمة الى دمشق1945
وتستمر المجازر الفرنسية.....

د/ الطاهر سبقاق

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

بمناسبة الذكرى 60 لعيد الاستقلال

-05 جويلية 2022-

يتعلّق موضوع الكتاب بالعدوان العسكري الفرنسي على كل الشعبين الجزائري والسوري في شهر ماي 1945. وقع الأول يوم الثلاثاء 8 ماي والثاني يوم الثلاثاء 29 ماي أي في الوقت الذي وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في أغلب مناطق العالم وبدأت فيه البشرية تحتفل بعودة السلم.

هذا السياق أضفى على الاعتداء المزدوج الذي حصل في حق الشعبين الجزائري والسوري بعدا تاريخيا مميزا، بمعنى أنه جعل منه نتيجة مباشرة من نتائج الحرب الكبرى ولا يمكن تناوله كمجرد حدث هنا وحدث هناك.

وبالإضافة إلى مميزات السياق الذي وقع خلاله مثّل ذلك العدوان المزدوج محطة رئيسية من مراحل تطور الحركة الوطنية في سوريا والجزائر بعد الهزيمة التي منيت بها فرنسا عام 1940 وما تمخض عنها من نشاطات متعددة الأطراف.

مما دفعني لتناول هذا الموضوع هو أن جل الكتابات التي تطرقت للعدوان العسكري الفرنسي على الجزائريين في مطلع ماي 1945 لم تنظر في العدوان الذي وقع على السوريين في آخر نفس الشهر وأن العكس قد يكون صحيحا أيضا. وبعد فحص وإجراء قراءات أولية، اقتنعت بأهمية وضع دراسة للواقعتين معا، على الأخص وان الضحيتين أشقاء والمعتدي واحد وتداعيات الاعتداء كانت حاسمة بالنسبة الطرفين.

لماذا أقدمت السلطات الفرنسية على اتخاذ قراري شن العدوان على الجزائريين ثم على السوريين بعد أن انتهت الحرب العالمية

الثانية رسميا؟ هل كان الهدف واحدا في كلا الحالين؟ ولماذا أسفر العدوان المزدوج على نتيجتين مختلفتين؟

قدسبقت الإشارة إلى أهمية السياق العام الذي وقع خلاله العدوان المزدوج من جهة وإلى أهمية التطورات التي حدثت على مستوى الحركتين الوطنيتين الجزائرية والسورية خلال الحرب العالمية الثانية من جهة أخرى. ويبدو لي أن هذه العناصر هي بمثابة المحددات التي تتحكم في محاولة الإجابة عن التساؤلات المرجع السابقة أعلاه.

الجزائر وسوريا بين 1919 و 1939

1 – الجزائر بين 1919 و 1939

إن فهم التطورات السياسية التي عرفتها كل من الجزائر وسوريا خلال الحرب العالمية الثانية (1939- 1945) بلا شك يحتّم علينا العودة إلى فترة ما بين الحربين 1919و 1939 للنظر في تداعيات الحرب العالمية الأولى و السياسة الفرنسية على المجتمعين الجزائري و السوري ، ولبيان ذلك سأبدأ أولا بالجزائر بحكم أن احتلالها من قبل فرنسا كان اسبق من سوريا و كذلك ميلاد حركتها الوطنية السياسية . ثم سأتناول بعد ذلك الظروف التي فرض فيها الانتداب الفرنسي على الشعب السوري في نفس الفترة وكيف واجهه السوريين.

1 – 1 الجزائر و الحرب العالمية الأولى

لقد اتبعت فرنسا سياسة مزدوجة في الجزائر، في السياق العام للحرب العالمية الأولى تمثل في استعمال سياسة الخشونة أو العصا الغليظة، وهو أمر غير جديد بل يشكّل امتداد للسياسة الفرنسية السارية منذ الاحتلال.ومع ذلك فقد تعزز باعتباره الأسهل والأضمن والأكثر فعالية في تقدير الفرنسيين، لتحصين أنفسهم وتدعيم مركزهم في الجزائر من جهة واجتناب فتح جبهة أخرى معادية لها خلال الحرب. وإذا كان أسلوب الترهيب والعنف هو القاعدة فإن أسلوب الترغيب والليونة كان هو الاستثناء الذي كان القصد منه كسب تعاطف الجزائريين وضمان إسنادهم بشريا

ولوجيستيكيا خلال المواجهة العسكرية المتوقعة مع خصومها الأوروبيين .

في كل الحالات لم يكن للجزائريين مصلحة مباشرة في حرب استعمارية تستهدف اقتسام مناطق النفوذ بين الكبار على حساب الصغار، لكن السياسة الفرنسية أقحمتهم غصبا عنهم. ولم يقتصر ذلك على الجزائر. فقد كان مصير المستعمرات دوما مرهونا بإرادة المستعمر وأوضاعها خاضعة لمصلحته. أعلنت فرنسا حالة الطوارئ في الجزائر وأرسلت عددا هاما من العسكريين (ما بين 200 و 300 ألف جنديا) لقمع أي تحرك ثوري محتمل. وسنت قانونا جائرا يمنح لفرنسا إمكانية تجنيد أبناء الجزائريين لمدة ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1911.

وفي نفس السياق أصدرت فرنسا قانون سبتمبر 1916 الذي يبيح لها تجنيد العمال الجزائريين لخدمة الأغراض الحربية. وبمقتضاه تم إرسال ما يزيد عن "120 ألف جزائري للعمل في المصانع الفرنسية." [1]

وعلى هذا الأساس تم إلحاق - وليس التحاق-" أزيد من 173 ألف جزائري، سقط منهم 25 ألفا في جبـــهات القتال[2] ليشاركوا في حرب لا تعنيهم. فوقعت حالات تمرد و فرار عديدة في صفوفهم،

1-R.M.Cornevin. Histoire de l'Afrique des origines a la 2eme guerre mondiale, Petite bib Payot, Paris, 1964, p339.

2-A.T.Bendiab, Chronologie des faits et mouvements sociaux et politique en Algérie 1830-1954, imp du centre, Alger, 1983, p32.

كما لجأ كثير من الجزائريين إلى الخارج، ولاسيما نحو المغرب و تونس و المشرق العربي و حتى نحو فرنسا نفسها، هروبا من التجنيد الإجباري . وقامت فرنسا بسجن الرافضين للتجنيد والذين بلغ عددهم 17 ألفا سنة 1915.

يضاف إلى ما سبق حدوث انتفاضات واضطرابات عديدة في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى تدل دلالة قاطعة على رفض الجزائريين المشاركة في الحرب . ومن مظاهر هذا الرفض وقوع انتفاضة بني شقران بوهران بقيادة الشيخ عثمان الراشدي يوم 1914/10/5/ من الانتفاضات التي شهدتها مناطق القبائل، و الاوراس، و الهقار، و الاضطرابات التي عرفتها المديـــة، وتنـــس، و برج بوعريريج، وتلمسان في سنة1916 .

بالموازاة مع تلك الخشونة قامت فرنسا بتقديم وعود معسولة بتحسين أوضاع الجزائريين و تكريس المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات.كما أطلقت سراح العديد من المساجين مقابل انخراطهم للمشاركة إلى جانبها في الحرب أي وضعهم أمام خيارين " الموت أو الموت" ؟ ! ، كما نشطت أجهزة الدعاية لتدعيم وترسيخ فكرة القدرية «المكتوب". وفي سياق مشابه عملت على استمالة بعض الأعيان و رجال الدين والجمعيات وحثهم عن إصدار تصريحات وفتاوى تشجع على الولاء لفرنسا. وحثت الموالين لها على تنظيم جمع تبرعات لفائدة فرنسا وتكريم المتبرعين و تقديم أمثلة عن المتطوعين في الجيش الفرنسي وإظهارهم على هيئة أبطال يجب الإقتداء بهم. و من جهة أخرى

عملت مصالحها على التحذير من مخاطر التأثر بالدعاية الوهابية، والقومية العربية، و الدعاية الألمانية، و الكمالية، والأفكار الشيوعية.

ومما لا شك فيه أن الحرب كيفما كانت ومهما كانت أطرافها و دواعيها تكلّف ثمنا غاليا جدا. وقد كان الأمر كذلك بالنسبة للجزائريين لأن فرنسا تعمّدت استخدام المجندين الجزائريين كدروع بشرية في الصفوف الأمامية كما كشفت الوثائق و المقابر الفرنسية والأوربية «مقبرة فردان في فرنسا ومقبرة غروبيشتا في حي اورلندوفسكي في صوفيا عاصمة بلغاريا» [1]. كما كان لهذه الحرب آثار و خيمة على الاقتصاد الجزائري الذي كان خاضعا للاقتصاد الفرنسي لأن فرنسا قد رصدت كل إمكانيات الجزائر المادية و البشرية لخدمة فرنسا في جهات القتال .

ومن زاوية أخرى، أفرزت الحرب آثارا ايجابية ناجمة عن إشراك الجزائريين فيها،إن احتكاكهم بالشعوب الأوربية و حصولهم على تجارب و خبرات سياسية و نقابية وثقافية وعسكرية شكّلت رصيد او أرضية انطلاق في النضال الوطني السياسي ضد الاستعمار الفرنسي خلال فترة ما بين الحربين 1919- 1939. ففي المجال السياسي ساهم اطلاع المهجّرين و المهاجرين الجزائريين عن كثب على أساليب النضال و مختلف ضروب التنظيم السياسي في أوروبا عموما و فرنسا خصوصا، ساهم في فتح عيون الجزائريين و تنوير

1-http://www.okbob.net/article-2800028.html, visité le 20/03/2010 à 08:50 mn.

عقولهم و شحذ هممهم و عزيمتهم على الكفاح ضد المستعمر .فإذا نحن عدنا إلى إرهاصات العمل السياسي في الجزائر في العشرينيات و نظرنا إلى تركيبة طلائع المناضلين الشباب فإننا نجد اغلبهم إن لم يكن كلهم من الذين شاركوا أو أقحموا في الحرب العالمية الأولى إلى جانب فرنسا و تأثروا بذلك الزخم و النشاط السياسي و حاولوا استثماره و توظيفه في المعركة ضد المستعمر الفرنسي ومن ألمعهم آنذاك الأمير خالدو الدكتور بن جلول وفرحات عباس و مصالي الحاج و غيرهم .

1 – 2 إصلاحات 1919 و مواقف النخبة الجزائرية.

إن مشـــاركة وإشراك الجزائريين في الحرب العالمية الأولى ساهم في تشــكيل المشهد السيــاسي فــي الجزائر و تحديد أطيافــه و شخصياته الفاعلة، و من ابرز هذه الشخصيات الضابط الأمير خالد بن الهاشمي، حفيد الأمير عبد القادر الذي تصدّر ذلك المشهد بعد عودته من جبهات القتال إلى الجزائر وقاد النشاط السياسي مستفيدا من ظروف عديدة أهمها:

- عودة العديد من الجزائريون الذين جنّدوا خلال الحرب.
- الإعلان عن «النقاط الأربعة عشر» لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وودراو ويلسون[1] و من بينها حق الشعوب في تقرير مصيرها و اعتبارها من بين أسس مؤتمر الصلح و جمعية الأمم.

[1] نقاط ولسون الأربعة عشر نسبة إلى الرئيس الأمريكي الثامن والعشرين توماس وودراو ولسون(1856-1924) طرحها في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي يوم 8 جانفي 1918 وكذلك في مؤتمر الصلح في باريس ، النقطة الخامسة تنص على حق تقرير المصير و الرابعة عشر تنص على إنشاء عصبة الأمم.

- نشر برنامج الإصلاحات الذي أصدرتها الحكومة الفرنسية في شهري فيفري- مارس 1919 و قدّمته على انه يكافئ الجزائريين على موقفهم أثناء سنوات الحرب.
- بروز تيار وسط النخبة الجزائرية يدعو للتخلي عن الشخصية الجزائرية من اجل الحصول على الجنسية الفرنسية .

كان برنامج حركة الأمير خالد مبنيا على المطالبة بالمساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق و الواجبات و القيام بالإصلاحات اللازمة لتحقيقها. فضلا عن مراسلته إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويلسون، كاتب الأمير الرئيس الفرنسي هيريو[1] مستعرضا ما سماه " برنامج مطالبنا الأساسية " و في مقدمتها :

- تمثيل الجزائر في المجلس الوطني الفرنسي بنسبة متساوية لنسبة الكولون.
- إلغاء كل القوانين الردعية.
- رفع الحواجز أمام الجزائريين للوصول إلى كل الوظائف.
- فصل الإسلام عن الدولة الفرنسية

كما خطب أمام الرئيس الفرنسي ميليران[1] أثناء زيارة هذا الأخير للجزائر سنة في ربيع 1922، وقد ظلت حركة المساواة أو الإصلاح بقيادة الأمير خالد تصنع الحدث السياسي بين سنوات

1- الكسندر ميليران (1859-1943) رئيس الجمهورية الفرنسية بين 1920-1924.
2- كمال حمزي، "مئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر1930تظاهرات و أبعاد"، حولية المؤرخ، الجزائر، العدد5 ، جوان 2005، ص245.

1920و 1923 . مما جعل الإدارة الاستعمارية تحاربه و تحصل على قرار بنفيه إلى فرنسا سنة 1924. ورغم تواجده بالمنفى إلا أن الأمير خالد واصل نشاطه السياسي بالمشاركة في اللقاءات و الندوات، وهو النشاط الذي مهّد لتأسيس« نجم شمال إفريقيا» بقيادة مصالي الحاج و حاج على عبد القادر في باريس سنة 1926 . ثم ابعد الأمير خالد إلى مسقط رأسه دمشق حيث توفي عام 1936 بينما انفرد النجم بمطلب الاستقلال صراحة و قاد الكفاح الوطني السياسي و بعده الكفاح المسلّح تحت مسمّيات متغيّرة تبعا للظروف و المعطيات السائدة في فرنسا والجزائر.

1 – 3 النضال السياسي في الجزائر حتى 1936

في غياب الأمير خالد واصل دعاة الإدماج بقيادة الدكتور بن جلول وفرحات عباس تقوية صفوفهم و كوّنوا « اتحادية المنتخبين » عام 1927 لتكون الرابطة الجامعة بينهم.

بحلول الذكرى المئوية للاحتلال عام1930 نظمت احتفالات صاخبة "خصصت لها ميزانية ضخمة قدرت بأكثر من 161 مليون فرنك"[2] ، أرادت السلطات الفرنسية من خلالها إقناع الرأي العام في الجزائر و فرنسا و العالم بأنها نجحت في إحكام سيطرتها على الجزائر وضمنت ديمومة خضوع أهلها. في هذا الوقت بالذات انضم فصيل جديد لمعركة الكفاح الوطني تحت اسم«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» بقيادة شخصية من عائلة عريقة حظيت باحترام كبير من الجميع بما في ذلك الإدارة الاستعمارية وهي شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس رفقة العديد من المشـــايخ

و الفقهاء و المصلحين ، أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي و الأمين العمودي ومبارك الميلي وتوفيق المدني وغيرهم [1]، وعلى الرغم من التصريح بأن أهدافها دينية ثقافية وغير سياسية [2] فان الجمعية لم تلبث بعد تأسيسها في ماي 1931 أن لعبت أدوارا سياسية ساهمت من خلالها في ترسيخ الوعي الوطني بضرورة الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية و استقطاب التضامن العربي و الإسلامي.

كما برز الاتجاه الشيوعي بشكل مبكّر في الجزائر تحت مظلة الحزب الشيوعي الفرنسي الذيقام بنشاطات حثيثة، استطاع على إثرها تجنيد العديد من الجزائريين وغيرهم من أهالي إفريقيا الشمالية من بين هؤلاء الجزائريين محمد بن الأكحل وحاج على عبد القادر.ليتمكن بعدها من تأسيس فدرالية الجزائر للحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1935 والتي اتخذت من مدينة الجزائر مركزا لنشاطها. وقد أصدرت الفدرالية جريدة تحت اسم لالوت سوسيال[3] أي النضال الاجتماعي ولكن بقيت هذه الفدرالية تتبع الأوامر من الأعلى و قد بلورت المشكل الجزائري داخل المشاكل الفرنسية ولم تعتبره مشكلا وطنيا جزائريا كما أنها شغلت نفسها

[1]حسب توفيق المدني استجاب84 عالما للدعوة، انظرأحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص103.

[2]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930- 1945، ج 3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 147.

[3]- La lutte sociale

بالعمال الفرنسيين في المدن الرئيسية و أهملت الجزائريين الذين كانوا يعيشون في الأرياف. وقد استعمل الشيوعيون المناشير والإعلانات بالإضافة إلي الصحافة لنشر أفكارهم بين الجزائريين فخلال 1927 وزع منشور بالعربية والفرنسية بين الأهالي يدعوهم للانضمام إلي حركة الشباب الشيوعي لتحقيق مطالبهم العاجلة .[1]

وخلال الاحتفال المئوي بالاحتلال الفرنسي للجزائر 1930 هاجم الحزب الشيوعي الفرنسي الامبريالية الفرنسية و نادى بالتآخي بين البروليتاريا الجزائرية والفرنسية. وهو موقفا لا يتناسب مع طموحات العناصر الوطنية و خصوصا نجم شمال إفريقيا الذي ينادي صراحة بالاستقلال. و بدأ قادة الحزب الشيوعي الجزائري يتعاونون مع الأحزاب الوطنية في الجزائر وكانت خطتهم تقوم على أساس أن جبهة المؤتمر الإسلامي تتحالف مع الجبهة الشعبية في فرنسا وبالتالي التحالف مع الشعب الفرنسي.

حدد الحزب الشيوعي الجزائري هدفه في عبارة "إنقاذ الجزائر من الدمار والانحطاط والموت" وفي نظره لا يكون ذلك إلا بتحرير العامل والفلاح من ظلم الكولون و قانون الانديجيا الجائر. لكن هذا التغيير لم يكن إلا مجرد تغيير في المظهر و البنية التنظيمية فقط ولم يأت بشيءٍ جديد فيما يتعلق بموقف الحزب الشيوعي الجزائري من المسألة الوطنية .

[1]ابو القاسم سعدالله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 356.

لما طلبت الحركة الوطنية الجزائرية من أفراد الشعب الجزائري عدم المساهمة في الحرب إلا إذا وافقت فرنسا على تمكين الجزائر من ممارسة حقها في تقرير مصيرها اتهمها الشيوعيون بالخيانة والعمل في ركاب الفاشية والنازية لأن المطلوب حسبهم هو تكوين اتحاد عام بين الشعب الجزائري والشعب الفرنسي لمحاربة الفاشية وإقامة جزائر حرة. ورفض الشيوعيون الجزائريون انضمام حزبهم إلى حركة البيان والحرية بل أنهم سارعوا إلى تأسيس حركة مضادة أسموها "أحباب الديمقراطية والحرية" ضبطوا لها مجموعة من الأهداف تأتي في مقدمتها محاربة الانفصاليين وتعبئة المسلمين الجزائريين في سبيل تحرير فرنسا، وفي مناقشات الندوة المركزية التي نظمها الحزب الشيوعي الجزائري 23 سبتمبر 1944 صرح السيد عمار أوزقان[1] أن مصلحة الجزائر لا تكمن في الانفصال عن فرنسا الجديدة لأن الاستقلال مستحيل وهو لا يخدم سوي امبرياليات أجنبية أخرى.[2]

1 – 4 من المؤتمر الإسلامي إلى منع النشاط السياسي عشية الحرب العالمية الثانية.

في إطار النشاط السياسي للتشكيلات الجزائرية التي تزامنت مع وصول الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا و التي أظهرت انفتاحا على

[1]عمار اوزقان (1910-1981) مؤسس وأمين عام الحزب الشيوعي الجزائري.

[2]http://www.algeria-tody.com/forum/showthread.php?t=6785.visité le 4/3/2010 à 13h30.

الطبقة السياسية الجزائرية تلتقي لأول مرة أهم هذه التشكيلات في لقاء هام عرف بالمؤتمر الإسلامي الجزائري.

انعقد المؤتمر الإسلامي يوم 07 جوان 1936 بالجزائر العاصمة بقاعة سينما الماجستيك (الأطلس حاليا)بحي باب الواد في ظل ظروف مميزة داخليا و خارجيا.

أ-داخليا:

-تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931.

-تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1936.

-بروز دور فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين و نجاحها في الانتخابات البلدية لعام 1934.

-وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا و طرحها لمشاريع إصلاحية منها مشروع بلوم فيوليت.

ب- خارجيا:

-انعقاد عدة مؤتمرات إسلامية مثل: مؤتمر الخلافة بالقاهرة مؤتمر مسلمي أوربا بجنيف، المؤتمر الإسلامي بالقدس.

-تأثير أفكار الأمير شكيب أرسلان الذي كان يدعو جميع المسلمين للاهتمام بشؤون الأمة الإسلامية و الدفاع عنها.

حضر المؤتمر جلّ التيارات السياسية من اليمين إلى اليسار باستثناء نجم شمال إفريقيا المتواجد مقره بفرنسا، فقد شارك العلماء و الشيوعيون، و النواب و بعض الشخصيات الدينية.وحسب المصادر التاريخية فإن فكرة عقد المؤتمر انطلقت من قسنطينة بدعوة من عبد الحميد بن باديس و الدكتور بن

جلول...و لهذا كانا من ابرز الحاضرين إلى جانب البشير الإبراهيمي، و الطيب العقبي، و الدكتور سعدان، و فرحات عباس، و الدكتور بن التهامي، وغيرهم من أقطاب الأحزاب المشاركة.

و ترأس أشغال المؤتمر الدكتور بن جلول ممثلا عن قسنطينة و قياديا في فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين، و تشكل مكتب المؤتمر من ممثلين عن و هران، قسنطينة، العاصمة.

جرت أشغال المؤتمر في يوم واحد خصصت الجلسة الصباحية لكلمات الافتتاح و الخطباء و خصصت الجلسة المسائية للمصادقة على مطالب المؤتمر الإسلامي التي اتفق حولها من طرف الأحزاب المشاركة و كان كل تيار يدافع عن مطالبه، فالنواب يرغبون في تطبيق مشروع فيوليت، و العلماء يدافعون على احترام الدين الإسلامي و اللغة العربية، و الشيوعيون يطالبون بالمساواة في الحقوق مع لفرنسيين و هكذا جاءت مطالب المؤتمر في صيغتها النهائية معبرة عن أراء كل التيارات السياسية المشاركة ،و يمكن تخليصها فيما يلي:

-إلغاء المعاملات الخاصة بالجزائريين.

-إلغاء المحاكم العسكرية و العفو عن المحكوم عليهم في حوادث قسنطينة سنة 1934.

-المساواة بين النواب المسلمين و الفرنسيين.

-اعتبار اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب الفرنسية.

-تحرير الدين الإسلامي من سيطرة الدولة الفرنسية ،.....الخ

بعد انتهاء الأشغال تشكل وفد عن المؤتمر انتقل إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر إلى حكومة الجبهة الشعبية ، وسافر الوفد الذي تقدمه الشيخ بن باديس و الدكتور بن جلول يوم 23 جويلية 1936 إلى فرنسا و التقى برئيس الحكومة الفرنسية " ليون بلوم "وسلمّه ما يسمى بميثاق مطالب الشعب الجزائري المسلم. ووعد رئيس الحكومة بدراسة تلك المطالب وبعد عودة وفد المؤتمر الإسلامي من باريس عقد تجمّعا شعبيا يوم 2أوت 1936 بالملعب البلدي بالعناصر لتقديم نتائج مهمتهم في باريس و عاد مع الوفد زعيم نجم شمال إفريقيا مصالي الحاج ،و أثناء التجمع استمع الحاضرون إلى عدة كلمات أهمها خطاب عبد الحميد بن باديس ،و خطاب مصالي الحاج اللذان كانا مؤثرين في الحضور، ورغم أن الجبهة الشعبية لم تف بوعودها إلاّ أن المؤتمر اعتبر مهماّ لنجاحه في توحيد الحركة الوطنية الجزائرية .

يمكن القول أن انعقاد المؤتمر الإسلامي (1936) ،رغم ضحالة أطروحاته وضآلة نتائجه ،فإن انعقاده وتركيبة الاتجاهات السياسية التي تفاعلت معه هي مؤشرات ذات دلالات تؤكد ثراء الحقل السياسي الجزائري ونمو الوعي السياسي لديه وإلا بما نفسّر قدرة هذا المؤتمر على جمع اتجاهات سياسية متناقضة إيديولوجيا لكنها استطاعت أن تجد أرضية مشتركة لتحقيق حد أدنى من الأهداف لفائدة الشعب الجزائري ، كما أن التقاء هذه الأطراف في المؤتمر الإسلامي على اختلاف مرجعياتها في ظروف فرنسية غلب عليها التعفّن و ظروف أوروبية غلب عليها طابع التوتر والصدام

بسبب سياسة هتلر الخارجية ؟ كان ذلك فعلا توقيتا مناسبا للضغط على فرنسا التي كانت تتطلع بحذر وارتباك على حدودها مع ايطاليا و ألمانيا اللتان كانتا تعملان جاهدتين لإضعاف فرنسا في مستعمراتها من خلال تشجيع سكان المستعمرات على الثورة وعدم التعاون مع الفرنسيين عند حدوث الحرب وقد كان لهذا العمل المكثف إعلاميا ودبلوماسيا واقتصاديا مفعوله فوجد أذان صاغية و قلوب متعاطفة لدى بعض الجزائريين اقتناعا بمبدأ " عدو العدو صديق" وبدأ البعض يتطلعون إلى مساعدات عسكرية واقتصادية ألمانية وايطالية لضرب فرنسا من الداخل "ومن الشباب الجزائريين الذين تحمّسوا للاتصال بألمانيا والحصول على مساعداتها المالية والعسكرية لمقاومة فرنسا، الشاب محمد بوراس قائد الكشافة الإسلامية والذي تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من اكتشاف اتصالاته فقامت بإعدامه" [1]، وقد نسي هؤلاء أن الحرب العالمية الثانية – والاولى كذلك- كانت عالمية الوقائع والآثار بالتأكيد لكنها استعمارية الأسباب والأهداف أولا.

كل الأطراف إذن - وبالتحديد الدول الكبرى - كانت تحركها أهداف ونزعات استعمارية غرضها التوسع وبسط النفوذ والبحث عن الأسواق والمواد الأولية والتحكم في المواقع الجيو-إستراتيجية على حساب الشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها. في ظل هذه الظروف تعفنت الأوضاع الأوربية وبلغت العلاقات الدولية درجة

[1] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر ،1994، ص186.

عالية من التوتر بشكل أصبح ينذر باقتراب موعد انفجار الحرب العالمية ، عندها لجأت فرنسا إلى إتباع سياسة وقائية لتتجنب الوقوع بين نيران النازية والكفاح الوطني في الجزائر فأعلنت حالة الطوارئ واعتقلت الشخصيات الوطنية الفاعلة وزجّت بها في السجون (مصالي الحاج و الإبراهيمي..) وصادرت الصحف وعطّلت الحياة السياسية بشكل عام ولم يبق سوى الاتجاه الشيوعي وفرحات عباس يتمتعان بقدر من الحرية في نشاطهم باعتبار أن سقف مطالبهم و تموقعهم السياسي لا يتعارض مع السياسية الاستعمارية ولا يهدد الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر. لذا سنرى في الفصل الموالي كيف أن فرحات عباس سيلعب دورا هاما – بدون منافس طبعا- في تنشيط المشهد السياسي في الجزائر مستغلا فراغ أو تفريغ الساحة السياسية الجزائرية ، علاوة على ضعف فرنسا وتواجد قوات الحلفاء في الجزائر لتمرير خطاباته والمطالبة بإنصاف الجزائريين و العمل من اجل تكريس حد أدنى من التنسيق مع الفعاليات الأخرى بالقدر الذي أتاحته تلك الظروف.

1 – 5 الوضع الاقتصادي و الاجتماعي وانعكاساته على العلاقة الجزائرية – الفرنسية.

إن السياسة الاستعمارية الفرنسية اعتمدت على الاستيطان كوسيلة للهيمنة على الأرض والإحراز على التفوق العددي على الجزائريين من جهة ، واعتمدت من جهة ثانية على سياسة الإدماج كهدف يؤدي إلى بسط النفوذ والسيطرة على البلاد

والعباد وتجسيد فكرة" الجزائر قطعة من فرنسا" وقد كان لهذه الإستراتيجية الاستعمارية أسوأ الآثار على اقتصاد الجزائر ونسيجها الاجتماعي.

من المعلوم أن الاقتصاد الجزائري آنذاك ذو طابع زراعي ريفي وبالتالي فالنشاط الأساسي للسكان هو الزراعة والرعي وبما أن العمود الفقري لهذا النشاط هو الأرض لذا نجد النظام الاستعماري تبنّى سياسة شاملة للتحكم في الأرض حيث تم إحصاء الأراضي ومسحها طوبوغرافيا، وجرّد الفلاحين الجزائريين من ممتلكاتهم عبر المصادرة والتهجير ومكّن المعمرين منها، الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة ، وشجّعهم على الاستيطان في الجزائر خدمة للوطن لتوسيع رقعته والزيادة في حجم خيراته و خدمة للدين المسيحي لتوسيع انتشاره، يكفي أن نورد مثالا على ذلك ما عرضته الدعاية الفرنسية الموجهة للمعمرين لحثهم على التوجه نحو الجزائر، من يلبي النداء يتحصل على قطعة أرض مجانية لا تقل عن 5 هكتارات زيادة على الإعفاء من الضرائب كما يتحصل الراغب في الاستقرار بالجزائر على تذكرة سفر مجانية نحو الجزائر لكن ذهابا فقط؟! ولتعبيد الطريق أمام هذه السياسة الاستيطانية أصدرت فرنسا ترسانة من القوانين العقارية و الجبائية مكنتها من وضع يدها على الأراضي والماشية والمحاصيل الزراعية ومصادر المياه والعمال الفلاحين . وكنتيجة لهذه السياسة الاستعمارية تحكمت فرنسا في مصادر رزق الجزائريين وغذائهم وساهمت بشكل

فضيع في تفقير وتجويع وتهجير وتشريد سكان الجزائر وبالتالي تفكيك البنية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد.

تفاقم الوضع أكثر خلال فترة ما بين الحربين 1919- 1939 بسبب ضخامة الفاتورة التي دفعها الجزائريون خلال الحرب العالمية الأولى لان فرنسا كانت قد رصدت كل إمكانيات الجزائر المادية والبشرية لخدمة جبهات الحرب وتواصل مسلسل الاستغلال وامتصاص خيرات الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لإعادة إعمار فرنسا وإنعاش اقتصادها ، ثم تأتي الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 لتلقي بظلالها على الجزائر وتزيد في حجم معاناة الجزائريين فيتناقص الإنتاج الزراعي والحيواني وترتفع الأسعار بشكل فاحش حيث يشير شارل روبير اجرون في كتابه "تاريخ الجزائر الحديث "....عرفت الجزائر مناخ اقتصادي في غاية الصعوبة تميز بارتفاع فاحش للأسعار وانتشرت فضائح السوق السوداء فأصبحت الجماهير أكثر راديكالية ولقيت الأفكار الوطنية رواجا اكبر..."[1] فانخفضت القدرة الشرائية للجزائريين وتدنى مستوى معيشتهم ، وقد لجأ النظام الاستعماري إلى القيام بإصلاحات لمعالجة الأمر لكن هذه الإجراءات لم تكن لتهتم بشؤون الجزائريين فالذي يعنيها هو حال المعمّرين الذين استفادوا من برامج دعم بالقروض وتطوير الري الحديث، وقد انعكست هذه المعاملة على الوضع الاجتماعي للجزائريين فانتشر البؤس وتفشت البطالة

[1]C.R.Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, Puf, paris, 1977, 6éme Édition, p 91.

وتوترت العلاقة بين المستعمر والسكان وارتفع زئبق الاحتقان أكثر جرّاء التدابير الوقائية التي أقدمت عليها سلطات الاحتلال في إطار التعبئة العامة والاستعداد للحرب العالمية الثانية بتجنيد كل الطاقات - مرة أخرى ودائما- لخدمة الأغراض الحربية الفرنسية.

بالرغم من السياسة الاستيطانية الاستعمارية وآثارها على المستويين الاقتصادي والاجتماعي فإن عدد السكان الجزائريين كان في تزايد مستمر حيث " انتقل عدد السكان من أكثر من 4,7 مليون نسمة سنة 1911 إلى أكثر من 5,5 مليون نسمة سنة 1931 بينما ارتفع عدد الأوروبيين في نفس الفترة من 752 ألف نسمة إلى 881 ألف نسمة أي أن هناك زيادة في عدد الجزائريين قدرها 800 ألف نسمة في ظرف عشرين سنة بينما زيادة الأوروبيين لم تتجاوز 130 ألف نسمة في نفس المدة..... " [1] فيبقى إذن التفوق العددي لصالح السكان الأصليين، وهو الهاجس الذي يؤرق مضاجع المعمرين حيث لم تنجح سياسة الاستيطان والإبادة والتهجير في ترجيحه لصالح الغزاة، ولو أن هذا التزايد من جهة أخرى كرّس الفقر والبؤس أكثر من حيث توزيع الدخل الذي هو بالأصل لا يتناسب مع حاجيات السكان ولا مع متطلبات الحياة الكريمة بشكل عام.

1-R. Letourneau, Evolution politique de l'Afrique du nord Musulmane1920-1961, Armand colin, Paris 1962, p 306.

2- سوريا بين 1919و 1939

سوريا هي جزء مما كان يعرف ببلاد الشام التي قسمت خلال مراحل تاريخية مختلفة دولا تفصل بينها حدود سياسية وضعها الاستعمار هي: الأردن وفلسطين (تسمى سوريا الجنوبية)، لبنان وسوريا تسمى (سوريا الشمالية) ، وجميعها تسمى سوريا الكبرى وتشمل سوريا الكبرى: سوريا – لبنان - الأردن – فلسطين أي ما يعرف ببلاد الشام وقد كانت سورية ولاية عثمانية .

تتقاطع التواريخ بين الجزائر وسوريا فكلاهما وقع تحت النفوذ العثماني في بداية القرن 16 (سوريا 1516/ الجزائر 1518) وحين بدأ عهد محمد علي في سوريا عام 1831 وقعت الجزائر تحت السيطرة الفرنسية، ولما تولى القيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي (1831-1840) في سوريا، تمت بالجزائر مبايعة الأمير عبد القادر (1832-1847) ليبدأ المقاومة المسلحة.

لقد اختلفت طبيعة دخول العثمانيين إلى البلدين، فبينما استنجد سكان الجزائر بالعثمانيين لمواجهة الخطر الاسباني والبرتغالي، أخضع العثمانيون سوريا بالقوة بل وكامل منطقة الهلال الخصيب ومصر بعد معركتي مرج دابق[1] و الريدانية[2]في إطار الصراع مع المماليك وبقيت سوريا تحت حكم العثمانيين لمدة زادت

[1]وقعت معركة مرج دابق في 24أغسطس1516بين العثمانيين والمماليك قـرب حلب في سوريا، قاد العثمانيين سليم الأول وقاد المماليك قانصوه الغوري .انتصر فيها العثمانيون ليبدأ بعدها الحكم العثماني لسوريا.

عن أربعة قرون، وبحكم القرب الجغرافي من عاصمة الخلافة كانت قبضة الدولة أقوى وأثرها أعمق لاسيما في فرض الضرائب على السكان وقمع الحركات المعادية للأتراك .

وقد ساهم اختلاف شخصية الولاة في اختلاف معاملاتهم وعلاقاتهم مع الشوام ففي حين عرف عهد جمال باشا (السفاح) واحمد باشا (الجزّار) بسفك الدماء عرفت عهود مدحت باشا وحمدي باشا وناظم باشا ظروف أحسن وعلاقات أكثر ودّا وانسجاما مع السكان وكان ذلك استثناءا يؤكد قاعدة الصدام والتصادم مع السلطة العثمانية إلا أن ذلك في حد ذاته كان من عوامل اليقظة والنهضة الفكرية والثقافية إلى جانب الانفتاح الذي عرفته سوريا في عهد محمد علي (1831-1840) على الحضارة الغربية .

بدأ الاهتمام الفرنسي مبكرا ببلاد الشام و ذلك منذ عهد الملك فرانسوا الذي استفاد من أول امتياز ديني منحته الدولة العثمانية لأول دولة أوربية تمثّل في الحق في حماية الأقليات الكاثوليكية في فلسطين سنة 1535 م في عهد السلطاني العثماني سليمان القانوني. استغل الفرنسيون هذه الامتيازات للتدخل لصالح قوافل الحج المسيحية الى بيت المقدس ، وتبنى لويس الرابع عشر عام 1646 قضية الجالية المارونية في لبنان وانشأ مدارس لتعليمهم

[2] وقعت معركة الريدانية بتاريخ 29 ذي الحجة سنة 922 الموافق 22 كانون الثاني 1517م، بين طومان باى والسلطان سليم الأول العثمانى و انتهت بهزيمة طومان باى وإعدامه و إنهاء حكم المماليك وبداية الحكم العثمانية لمصر.

اللغة الفرنسية حتى أصبح بعض مشايخهم نائبا للقنصل الفرنسي في بيروت عام 1655 و قنصلا لها عام 1662.[1] ثم جاءت حملة نابليون بونابرت على مصر (1798-1801) لتؤكد نوايا الهيمنة و بسط النفوذ الفرنسي في المشرق العربي وتدخّل البريطانيون على إثرها زاعمين مساعدة الدولة العثمانية في الدفاع على سيادتها وهم في الحقيقة كانوا يخشون من التوسع الفرنسي و تهديد المصالح البريطانية في المشرق العربي و الهند، وتمكّنا معا من طرد الفرنسيين و آلت مصر لحكم محمد على و أبنائه باسم الدولة العثمانية في البداية ثم سرعان ما انقلبوا عليها بدعم من الفرنسيين أنفسهم، في إطار حركة محمد علي الانفصالية وقد تولى خلالها إبراهيم باشا ابن محمد علي ولاية سوريا و ازداد التقارب بين الفرنسيين و السوريين، لكن الدسائس و المساعي البريطانية نجحت مرة أخرى في إقصاء الفرنسيين العاجزين عن مساعدة محمد علي لانشغالهم بالأزمات الداخلية الناجمة عن مضاعفات الحملة الفرنسية على الجزائر و التي ستؤدي إلى إسقاط ملكية لويس فيليب سنة 1848 وقيام الجمهورية الثانية.

كانت مذابح 1860 بين الموارنة الكاثوليك و الدروز المسلمين فرصة لتكريس الوجود الفرنسي و تقويته فقرر نابليون الثالث إرسال قوات إلى سوريا لحماية الكاثوليك حتى لا تتكرر المأساة.[2]

[1]رأفت الشيخ، التاريخ العربي المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996، ص 66.

[2]أفت الشيخ، التاريخ العربي المعاصر، المرجع السابق، ص66.

و في هذه الظروف سعى الفرنسيون إلى تكثيف تغلغلهم الثقافي و الديني من خلال نشاط الإرساليات التبشيرية و الجمعيات الخيرية و الثقافية مستفيدين من الزخم و الحراك الفكري الذي صاحب النهضة العربية في مطلع القرن العشرين ولاسيما الاتجاه القومي المتنامي الذي نشّطته الكثير من العناصر المسيحية في سوريا ولبنان و هي العناصر التي كان هدفها الأساسي التخلص من الهيمنة العثمانية و إقامة دول قومية. كانت هذه السمات العامة للمرحلة السابقة على الحرب العالمية الأولى .

2 – 1 سوريا و الحرب العالمية الأولى.

جرت مراسلات حسين- مكماهون[1](5 رسائل و5 ردود) سنة 1915 والتي اتفق فيها الطرفان على التعاون والتحالف من أجل طرد العثمانيين من بلاد الشام مقابل مساعدة بريطانيا للعرب على تأسيس " الدولة العربية الكبرى" [2] التي كان يحلم بها شريف مكّة الحسين بن علي .كان البريطانيون يهدفون إلى ضرب الدولة العثمانية التي كانت طرفا في الحلف الثلاثي إلى جانب ألمانيا و النمسا والمجر الذي كان يقف في وجه الوفاق الثلاثي المتكوّن من فرنسا و بريطانيا و روسيا القيصرية. بموازاة ذلك كانت بريطانيا تجري مفاوضات مع حليفتيها لتقاسم تركة الدولة العثمانية والتي

[1]نسبة إلى طرفي المراسلات ، الحسين بن علي شريف مكة و الوزير البريطاني هنري ماكمهون.

[2]عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1980، ص 559-569.

أفضت إلى التوقيع على الاتفاقية السرية المعروفة "اتفاقية سايكس– بيكو"سنة 1916[[1]]

خلاصة اتفاقية سايكس بيكو (ماي/أيار 1916) :

« (أ)-إقامة دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية في منطقتين الأولى تقع تحت سيطرة فرنسا و تشتمل على سورية الداخلية وولاية الموصل، و الثانية تقع تحت سيطرة بريطانيا وتشتمل على شرقي الأردن و العقبة و جنوبي بادية الشام و الأرض الواقعة بين الموصل وبغداد. ويكون لكل من فرنسا و بريطانيا في منطقتها حق الرجحان في المشاريع الاقتصادية و المعونة الفنية.

(ب)- إطلاق يد فرنسا في لبنان و الساحل السوري ، ويد بريطانيا في ولايتي بغداد و البصرة.

(ج) -إقامة إدارة دولية في فلسطين بالاتفاق مع شريف مكة وروسيا القيصرية ». [2]

وقد «نشرت الحكومة البلشفية هذه المعاهدة يوم 21فبراير1918»[1]كما كانت بريطانيا تتفاوض على صعيد آخر مع الحركة الصهيونية العالمية من اجل تبادل الدعم في مختلف المجالات خلال الحرب مقابل تعاون الطرفين في تحقيق المشروع

[1]اتفاقية سايكس- بيكو نسبة إلى الموقّعين ممثل بريطانيا مارك سايكس و ممثل فرنسا جورج بيكو.

[2]احمد طربين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق ،سوريا 1985-1986، ص 399.

نقلا .http://www.palestineinarabic.com/Docs/treat_aggr/Sykes_Pico_1916_A.pdf عن أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، ص 175.

الصهيوني في فلسطين. بهذا الصدد أقدمت بريطانيا على إعطاء الصبغة الرسمية و الدولية لالتزامها و ذلك بواسطة ما أصبح يعرف بوعد بلفور سنة 1917.

لما انعقد مؤتمر الصلح في باريس سنة 1919 بعد نهاية الحرب ، شارك الأمير فيصل بن الحسين نيابة عن أبيه وممثلا للوفد السوري و كانت له لقاءات عديدة مع رؤساء دول

منهم :جورج كليمانصو الفرنسي ولويد جورج البريطاني والرئيس الأمريكي وودراو ولسون و حاييم وايزمان ممثل الحركة الصهيونية. أدلى خلالها الأمير فيصل بتصريحات وقدّم تنازلات مشروطة للأوروبيين والصهاينة، و بعد عودته إلى دمشق انعقد المؤتمر السوري العام بمشاركة ابرز الشخصيات الوطنية في سوريا وفيه تم اتخاذ قرارات جريئة أهمها:

«- الاعتراف باستقلال سوريا وفلسطين ولبنان في دولة واحدة برئاسة فيصل.

- إلغاء اتفاقية سيكس- بيكو ووعد بلفور.

- رفض الوصاية الدولية (الانتداب لاحقا) والاكتفاء بقبول مساعدات أمريكية وبريطانية ورفض المساعدات الفرنسية»[1]

2-2 الانتداب الفرنسي وتقسيم سوريا

أحرجت قرارات المؤتمر السوري العام كلا من البريطانيين والفرنسيين لأنها كانت تحمل خطر تنامي النشاط الوطني المعادي لهم معا وتهديد مخططاتهم في المنطقة. فتم توقيع اتفاقين الأول

[1]لبيب عبد الساتر، التاريخ المعاصر، دار المشرق، بيروت، 1971، ط3، ص 56.

بين لويد جورج و كليمانصو والثاني بين فيصل و كليمانصو لضمان مصالح الفرنسيين والبريطانيين في سوريا . وتمثلت الخطوة الثانية في عقد لقاء سان ريمو (في ايطاليا) يوم 5 ماي 1920 والذي كونت قراراته الضوء الأخضر لدخول اتفاقية سايكس– بيكو حيّز التنفيذ على حساب مصالح و أماني العرب. وفي 14 من جويلية 1920 –أي بعد سبعين يوما بالضبط من صدور قرارات مؤتمر سان ريمو- وجّه الجنرال الفرنسي غورو إنذارا شديد اللهجة للملك فيصل وحكومته ، اتبع بعد أربعة أيام بهجوم عسكري على سوريا انطلاقا من لبنان بقوات برية تسندها الطائرات . وقد قصفت مدينة دمشق وضواحيها، فغادر فيصل البلاد و بدأت المقاومة وبالرغم من البسالة التي أبداها السوريون ولاسيما وزير الحربية يوسف العظمة في معركة ميسلون الشهيرة إلا أن النصر كان لفرنسا التي أخضعت سوريا كلها لنفوذها.

منذ دخولهم إلى سوريا وفرض الانتداب عليها كان الفرنسيون يعلمون أنهم ركبوا مركبا وعرا. فسوريا بلد حضارة عريقة وصمدت في وجه كل الطامعين. وكانت في تلك الأثناء معقل القومية العربية الصاعدة التي تمكنت من زعزعة هيمنة العثمانيين لذا عمل الفرنسيون من البداية على إحكام سيطرتهم عليها بناء على القاعدة الاستعمارية "فرّق تسد" حيث قامت فرنسا بتجزئة سوريا الكبرى على أساس طائفي بمقتضى قرار أصدره المفوض السامي الجنرال غورو يقضي بأن تصبح سوريا كما يلي :

«دولة سوريا وعاصمتها دمشق وهي مقر المندوب السامي.

1- دولة العلويين وعاصمتها اللاذقية.
2- دولة الدروز وعاصمتها السويداء.
3- دولة حلب وعاصمتها حلب.
4- دولة لبنان الكبير وعاصمتها بيروت وفيها مقر المفوض السامي.
5- لواء الإسكندرونة ويخضع لإدارة خاصة»[1].

إلى جانب كل حكومة من هذه الحكومات المحلية - باستثناء الإسكندرونة- وجدت بعثة فرنسية مكونة من مستشارين لكل فرع من فروع الإدارة . ويرأس كل حكومة رئيس يسمى بمندوب المفوض السامي يساعده عدد كبير من الموظفين الفرنسيين وهو - أي المفوض السامي – حسب الشيخ بشارة الخوري " الآمر والناهي والحاكم بمقدرات الناس، يرفع هذا ويضع ذلك، يدير ويشرّع ويحجب عن الخزانة موارد الجمارك، يوقف الدستور عندما يشاء ويعيده منقوصا ثم كاملا متى يشاء." [2]

بسط الفرنسيون سيطرتهم على الشرطة والدرك والجمارك وعلى إصدار الجوازات وفرضوا اللغة الفرنسية كلغة رسمية في التعليم وألحقوا الاقتصاد السوري بالاقتصاد الفرنسي هيكليا ونقديا وأرهقت الخزينة السورية من كثرة المصاريف التي كان يقتطعها الفرنسيون بحجة تسيير البلاد ومواجهة النفقات التي تتطلبها عمليات إخماد الثورات السورية «وقد بلغ مجموع ما

[1]رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص69.
[2]لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص 86.

دفعته سوريا سنويا 15,6 مليون ليرة سورية (الليرة السورية 20 فرنك فرنسي) »[1].

و استبد الفرنسيون بالحكم وكرّسوا الطائفية والنزعة الانفصالية وضايقوا العناصر الوطنية وراقبوا الصحف وزوّروا الانتخابات.ولم يدخروا جهدا يساعد على تقوية مركزهم هناك ويضعف سوريا ويستغل شعبها ويهين كرامته وهي كلها ممارسات تتنافى نظريا و عمليا مع روح الانتداب.

3-2 المقاومة الشعبية المسلحة

بدأت المقاومة في الحقيقة منذ دخول الفرنسيين إلى الأراضي السورية حيث كانت معركة ميسلون يوم 24جويلية 1920 فاتحتها وتوالت بعدها حركات المقاومة في جميع أنحاء سوريا، ومع تزايد أسبابها على النحو التالي:

- عدم التزام الفرنسيين بمواد صك الانتداب.
- تمزيق البلاد السورية إلى دويلات وتطبيق سياسة عنصرية إقليمية.
- كبت الحريات العامة وتشديد الرقابة على الصحافة.
- التدخل في الشؤون الدينية للمسلمين ووضع مسؤولين فرنسيين على رأس إدارة الأوقاف الإسلامية.
- محاولات فرض نمط المعيشة الفرنسي على السكان.

[1]وليد المعلم، سوريا 1918 – 1958، التحدي والمواجهة، مطبعة عكرمة، دمشق، 1985، ص12.

قاد الشيخ صالح العلي حركة المقاومة في المنطقة الساحلية (بلاد العلويين) ابتداء من 1919. وفي المنطقة الشمالية نجح إبراهيم هنانو في زعزعة النظام الاستعماري الفرنسي ابتداء من 1921. وقد شهدت المنطقة الوسطى كذلك اشتباكات دامية استخدمت فيها القوة الاستعمارية المدفعية والطيران، أبلى فيها آل الدندشي وفوزي القاوقجي بلاء حسنا واستمرت هذه الحركة حتى 1926.كما عرفت المنطقة الجنوبية الغربية صدامات بين الوطنيين و قوات الاحتلال قادها الأمير محمود الفاعور في البداية ثم توسّع نطاقها بدعم من سلطان جبل الدروز باشا الأطرش الذي لم تنجح سلطات الانتداب في دحر مفارزه إلا بعد تخصيص ثلاث حملات عسكرية . امتدت المقاومة إلى دمشق العاصمة نفسها وهو ما اجبر فرنسا على «توجيه حملة "اندريا" في أفريل 1926 وهي حملة عسكرية ضخمة طلبت فيها السلطات الفرنسية الدعم والإسناد من القوات البريطانية في شرق الأردن»[1]. وفي دمشق و غوطتها كانت المقاومة أشد عنفا بقيادة حسن الخراط مدعوما من ثوار جبل الدروز، ولم تفلح قوات الانتداب في القضاء على هذه الثورة إلا باستخدام المدفعية والطيران وحشد الآلاف من الجنود في المعارك ضمن خمس جيوش فرنسية تمكنت في الأخير من إرغام المقاومة على إلقاء السلاح في أواخر سنة 1926.

[1] مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء العاشر (سوريا)، مؤسسة هانياد، بيروت، 1997، ص74.

بالرغم من تعيين السيناتور دي جوفنيل خلفا لسرايل إلا أن المقاومة استمرت على شكل حرب عصابات إلى غاية سنة 1927 مما اضطر فرنسا إلى تقديم تنازلات إدارية للعناصر الوطنية كتأسيس حكومة دستورية ومجلس نيابي وفي عهد المندوبين بونسو و دي مارتيل تتجذّر مواقف الحركة الوطنية اكثر ويتراجع المندوب السامي الفرنسي دي مارتيل عن تلك التنازلات فاندلعت انتفاضة 1936 وخاصة في دمشق التي شهدت إضرابا شاملا دام ست أسابيع قابلها الفرنسيون بالقمع الشديد والاعتقالات.

4-2 النضال السياسي السوري حتى 1936

إذا كانت حركات المقاومة لم تنجح في طرد المحتل فإنها نجحت في تغيير مسار السياسة الاستعمارية إذ أن فرنسا اتجهت بعد ذلك نحو سياسة التفاوض والتشاور بدلا من سياسة العنف والاستبداد. فقد أعلن دي جوفنيل في جميع لقاءاته مع القادة السوريين أنه مستعد لدراسة كل المطالب بشرط إلقاء السلاح والشروع في مفاوضات سلمية، وكعربون على حسن نيته استقدم صهر السلطان عبد الحميد، الداماد احمد نامي بك وكلّفه بتشكيل حكومة سورية جديدة . ومنذ ذلك الوقت بدأ النضال السياسي السوري في سبيل الاستقلال.

إذا أردنا الوقوف على خلفيات العمل السياسي في سورية فإننا سنجد رصيدا ضخما تراكم منذ نهاية القرن 19 ومطلع القرن العشرين من خلال نشاط الجمعيات السرية والعلنية خلال العهد العثماني و كان بعضها يؤمن بأفكار الجامعة الإسلامية ويدعو إلى

إصلاح أوضاع الدولة العثمانية، في حين أسس البعض الآخر لاتجاه قومي عربي يدعو إلى التخلص من السلطة العثمانية وإقامة دولة عربية . وهذا الاتجاه الثاني هو الذي تبلور خلال الحرب العالمية الأولى واستفاد بشكل أو بآخر من محصّلة التحالف العربي - البريطاني الذي أفضى إلى طرد الأتراك من بلاد الشام وإقامة إمارة سورية بقيادة فيصل بن الحسين.

ومع ذلك لم تظهر ملامح النشاط السياسي بوضوح بعيد الحرب العالمية الأولى بسبب الصدمة التي تلقاها العرب أثناءها وخيبة أملهم في الوعود البريطانية واكتشافهم لاتفاقية سايكس-بيكو الغادرة . وما تلاها من مظالم عسكرية و سياسية أخطرها تمزيق بلاد الشام .

في العهد الانتدابي كانت الاتجاهات السياسية البارزة تتمثل سنة 1925في حزب الشعب بقيادة عبد الرحمان الشهبندر ونسيب البكري وناظم القدسي ومعروف الدواليبي. و في السنة الموالية ظهرت الكتلة الوطنية بقيادة إبراهيم هنانو وهاشم الاتاسي وشكري القوتلي، دائما في مطلع العشرينات تأسس الحزب الشيوعي السوري اللبناني بقيادة فؤاد الشمالي ثم خالد بكداش ابتداء من 1933 [1]. وهناك الاتجاه الإقليمي القطري والذي يمثله الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أسسه أنطوان سعادة سنة 1932 بالاعتماد على طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت الذين

[1]مجلة ابيض واسود، سوريا، الملف الكامل للأحزاب و الحركات السياسية المعاصرة في سوريا، العدد 129، 2005/5/30، ص 4 - 5 .

كان يدرّسهم اللغة الألمانية [1]، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية يبرز التياران القومي؛ الذي يمثله حزب البعث، والإسلامي؛ الذي تمثله جماعة الإخوان المسلمين واللذين سيتبلوران هيكليا وفكريا بشكل أوضح بعد جلاء الفرنسيين .

بسبب مواقفه الوطنية تعرض حزب الشعب للمضايقة من طرف المفوض السامي و معاونيه من السوريين مما اضطر بعض أعضائه إلى الفرار نحو بغداد ومنها إلى القاهرة، وبقي البعض الآخر يتفاوضوا مع هنري بونسو الذي خلف دي جوفنيل في 11 تشرين الأول /اكتوبر 1926. في هذه الظروف بالذات ونظرا للفراغ الذي تركه حزب الشعب ظهر تنظيم سياسي جديد هو الكتلة الوطنية التي باتت رائدة الكفاح الوطني السوري ضد الاستعمار الفرنسي، لذا يتوجب التوقف عند معالم تطورها.

لقد عقد مجموعة من الزعماء الوطنيين[2] مؤتمرا في بيروت يوم 25 تشرين الأول/ اكتوبر 1927 قرروا في نهايته خوض الانتخابات باسم الكتلة الوطنية . وتمكنت هذه الكتلة من تحقيق فوز ساحق في انتخابات جولية /تموز1928 و انتخب هاشم الاتاسي رئيسا للجمعية التأسيسية التي بدورها وضعت أول دستور للبلاد . واستمرت الكتلة في نشاطها وعقدت مؤتمرها الأول

[1]غسان رشاد حداد، من تاريخ سوريا المعاصر1946-1966، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، الأردن، ط1، 2001، ص 15-22 .

[2] انظر وليد المعلم، المرجع السابق، ص 15.

في حلب 1930 والثاني في الشهباء عام 1931 والثالث في حمص 1932 حيث انتخب إبراهيم هنانو زعيما والأتاسي رئيسا [1].

تعتبر الكتلة[2] أول تنظيم سياسي قانوني في عهد الانتداب، ضمّت في صفوفها مواطنين مختلفي المصالح والانتماءات الطبقية من كبار الملاك والبورجوازيين والتجار وشخصيات من الأحزاب القديمة كحزب الاستقلال وحزب الشعب والحزب الوطني[3] والكتلة لم تطرح نفسها كحزب سياسي بل كانت تجمعا جماهيريا كبيرا و خاصة بعد الإنجاز الثاني الذي حقّقته - انجازها الأول هو إصدار دستور 1928 - وهو عقد معاهدة 1936 مع الفرنسيين التي يعتبرها الكتلويون مفخرة من مفاخرهم في حين يعتبرها معارضوهم فخّا خطيرا أوقعهم فيه الفرنسيون فشوّه صورة زعماء الكتلة وقلّص من شعبيتهم.

5-2 معاهدة 1936 بين فرنسا و سوريا و مصيرها

خاضت الكتلة الوطنية انتخابات تموز 1928 وحقّقت فيها نصرا باهرا أثمر بتكوين جمعية تأسيسية وإقرار النظام الجمهوري البرلماني وإصدار دستور في نفس السنة وهو الأمر الذي زاد في شعبية الكتلة وشجعها على المضي في هيكلة نفسها وتعزيز مكانتها

[1]انظر نفس المرجع ، نفس الصفحة، السبعة هم: ابراهيم هنانو زعيما، هاشم الاتاسي رئيسا، سعدالله الجابري نائبا للرئيس، وجميل مردم بك وشكري القوتلي وعبدالرحمان الكيالي وفارس الخوري اعضاء والتحق لطفي الحفار عضوا بعد وفاة ابراهيم هنانو و بقي منصب الزعامة شاغرا.

[2]انظر الملاحق رقم (10) ص264-265.

[3]مسعود الخوند، المرجع السابق ص 165- 166.

في الحقل السياسي السوري كممثل شرعي للشعب السوري في مواجهة الانتداب الفرنسي.

وقد تمكّنت الكتلة في ربيع 1936 من إجبار الفرنسيين على عقد معاهدة تحدد العلاقة بين فرنسا وسوريا وتعبّد الطريق أمام السوريين لانتزاع استقلالهم. لهذا الغرض توجّه وفد سوري[1] رفيع المستوى إلى باريس بقيادة رئيس الكتلة الوطنية هاشم الأتاسي ، مكث هناك حوالي ستة أشهر انتهت بتوقيع «معاهدة تحالف وصداقة» بين فرنسا وسوريا، و قد جاء في مقدمة المعاهدة ما يلي :

« إن حكومة الجمهورية الفرنسية و حكومة الجمهورية السورية.

بناء على تصريح الحكومة الفرنسية أمام عصبة الأمم بقصدها عقد معاهدة مع الحكومة السورية معتبرة ما تم من التطور في سورية ونظرا للتقدم الذي تحقق في سبيل تثبيت سورية أمة مستقلة وبناء على اتفاق الحكومتين تهيئة جميع الشروط لقبول سورية في عصبة الأمم في مهلة ثلاث سنوات ابتداء من مراسيم إبرام المعاهدة متبّعتين في ذلك منهاجا تام الصراحة قد اتفقتا لهذه الغاية على عقد معاهدة صداقة وتحالف لتحدد على أسس الحرية التامة والسيادة و الاستقلال العلاقات التي تظل قائمة بين الدولتين بعد زوال الانتداب .وعلى تعيين شروط تطبيق المعاهدة و أساليبه في الاتفاقات والبروتوكولات و المراسلات الملحقة بالمعاهدة والمعتبرة جزء غير منفصل منها.

[1]انظر الملحق رقم (10) ص 170

ولهذا الغرض قد انتدب كل من صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية و صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية مفوضين عنهما.و بعد أن تبادلوا أوراق اعتمادهم ووجدوها صحيحة اتفقوا على..... [1] ».

وتتألف المعاهدة من: « مقدمة و اتفاق عام يتكون من سبع مواد وأخر عسكري من ثمانية مواد وخمسة بروتوكولات و 11 مراسلة».[2]

أسفل المعاهدة نقرأ : «كتب في باريس نسختين يوم 9 أيلول 1936 و الموقعون عن الجانب الفرنسي: - ب- فينو ودي مارتيل وعن الجانب السوري الرئيس هاشم الأتاسي و الأعضاء فارس الخوري وجميل مردم وسعد الله الجابري ومصطفى الشهابي و ادمون حمصي وسكرتيرين ، نعيم الأنطاكي وأحمد اللحام» [3]

عاد الوفد إلى سوريا يوم 29 سبتمبر/ايلول1936 واستقبل استقبال الفاتحين و ساد اعتقاد لدى اغلب أعضاء الكتلة الوطنية ومناصريها بأن المعاهدة هي خطوة جريئة في طريق التحرر والاستقلال، في حين نظر إليها البعض الآخر وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمان الشهبندر على أنها تثبيت للانتداب وإضفاء الصفة

[1]وليد المعلم، سوريا بين 1918-1958، المرجع السابق، ص 269.

(2)منير اشرفي، تاريخ سوريا السياسي، مطبعة العصر الجديد، حلب، سوريا، (د.ت)، ص 159.انظر ايضا وليد المعلم ، المرجع السابق، ص 269-283.

(3) نجيب الأرمنازي، محاضرات عن تاريخ سوريا من الاحتلال إلى الجلاء ، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1954، ص 200.

الشرعية التعاقدية عليه. وألقى العديد من المحاضرات ناقدا المعاهدة ومبرزا عيوبها وثغراتها مما أدى إلى ضجة كبيرة في البلاد تسببت في اغتياله بعيادته صبيحة 1940/7/6، وقد استغل الفرنسيون و أعوانهم الفرصة لإلصاق التهمة بعناصر الكتلة الوطنية التي لجأ أعضاؤها البارزون إلى العراق ولم يبق منهم في سوريا سوى شكري القوتلي .

تعرضت المعاهدة للنقد داخل الكتلة الوطنية وعبّر بعضهم بغضب عن التنازلات التي قدّمتها الكتلة مثل ناظم القدسي الذي خطب يوم 21 جويلية/تموز1938 في مجلس النواب قائلا: «يجب أن تفهم فرنسا أن في الكتلة الوطنية رأيان، رأي متطرف لا يقنع بالتفاهم والنية الحسنة، ولكنه يخضع للأغلبية التي تقول لنجرب هذا التفاهم لعلنا نصل إلى نتيجة، والرأي الأخر الذي أراد لنفسه السكوت ، أراد أن يفسح المجال للجانب الأخر كي يصل إلى أخر المدى، وكي تستقر في أذهان الناس، إما تفاهم على طول المدى أو لا تفاهم»[1]

قامت الحكومة السورية استناداً إلى بنود المعاهدة الفرنسية السورية بممارسة أعمالها السيادية, فدعت إلى انتخابات نيابية جديدة أسفرت على قدوم مجلس نيابي جديد و انتخب هذا المجلس في أول جلسة له السيد هاشم الأتاسي رئيسا للجمهورية ،وعيّن الأتاسي حكومة جديدة تشكلت من: جميل مردم بك،

[1]مصطفى بلاوني، الأحزاب السياسية في سوريا 1920-1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة دمشق، 1985، ص 190.

للرئاسة و الاقتصاد الوطني ، شكري القوتلي، للمالية و الدفاع الوطني،سعد الله الجابري للداخلية و الخارجية، عبد الرحمان الكيالي، للعدلية و المعارف ضمتهنا لأول مرة وزارتي الخارجية والدفاع [1]، دلالة على التمتع بالسيادة والاستقلال, علماً بأن هاتين الوزارتين كانتا غائبتين في كل الحكومات السورية السابقة (باستثناء عهد فيصل)!

وبعد اتخاذ الحكومة والبرلمان السوري قراراً بالتصديق على المعاهدة ، تم استصدار قانونً بإعادة ضم اللاذقية وجبل العرب إلى التراب السوري بحيث أصبحت كل منهما محافظة مثل بقية المحافظات السورية.

طلبت الحكومة السورية الجديدة من الحكومة الفرنسية الاستعجال في التصديق على المعاهدة ،و استكمال المفاوضات و الاتصالات معهم لاستلام كل السلطات طبقا لما جاء في المعاهدة ولكن سقوط الجبهة الشعبية يوم 22جوان/حزيران 1937و استلام اليمين لدفة الحكم جعل الفرنسيون يتراجعون عن الصيغة التعاقدية و ينزعون إلى العودة إلى نظام الانتداب.

كما بدأت تلوح في الأفق نذر حرب عالمية جديدة, فاستغل الساسة الفرنسيون الوضع, وبدؤوا يدّعون بأن دول المشرق(سورية ولبنان) تشكل قواعد إستراتيجية هامة لحماية الطريق إلى المستعمرات الفرنسية في الهند الصينية، فضغطوا بقوة على أعضاء الجمعية

[1]اسماعيل احمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبيكة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص128.

الوطنية الفرنسية (البرلمان) لكي لا تقوم بالتصديق على المعاهدة. وتجاهلت الحكومة الفرنسية نص المعاهدة و توقيع مندوبيها عليه، و في أواخر عام 1938 قامت باستدعاء المفوض السامي دي مارتيل، وعينت مكانه السيد غابرييل بيو الذي يحمل أفكاراً استعمارية بائدة، أدت إلى عودة الصدام و التشنج الذي أدى بدوره إلى استقالة بعض الوزراء في الحكومة السورية ثم رئيس الحكومة نفسه و أعقبتها استقالة رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي أيضا وذلك يوم 7اوت/تموز1939 .

لم تكتف فرنسا بالتراجع عن معاهدة 1936 و الإخلال بما جاء في صك الانتداب حيث تخلت على لواء الإسكندرية للأتراك لضمان حيادهم خلال الحرب العالمية الثانية المرتقبة، وأعلنت الأحكام العرفية واعتقلت الزعماء الوطنيين[1].

[1] محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دار الراوي للنشر و لتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، 2000،ط1، ص 370 .

الفصل الأول

الحرب العالمية الثانية في الجزائر
و سوريا حتى 1942

1 – 1 - موقف الجزائريين والسوريين من الحرب العالمية الثانية.

1 – 2 - هزيمة فرنسا في الحرب و أثرها على البلدين.

1 – 3 - الجزائر و سوريا مسرحان للعمليات العسكرية خلال الحرب:

1-3- أ- عملية «كاتابلت »(المنجنيق) عام 1940 في الجزائر.

1-3-ب- عملية «اكسبورتر» (المصدّر) عام 1941 في سوريا.

1-3-جـ- عملية «تورش»(المشعل) عام 1942 في الجزائر.

1 – 1 موقف الجزائريين والسوريين من الحرب العالمية الثانية.

استخدمت فرنسا كل وسائل الترهيب والترغيب في تعاملها مع الشعبين الجزائري والسوري و نخبتيهما السياسيتين خلال الحرب العالمية الثانية . أما الترهيب فكان من مغبة إحراج فرنسا وإرباك حساباتها في مواجهة أعدائها في أوروبا و منافسيها في إفريقيا و آسيا، في وقت كانت فيه العلاقات الأوربية جد متوترة و تنذر باشتعال الحرب.أما الترغيب فكان بإسنادها و دعمها ماديا و بشريا ضد أعدائها مقابل وعود بإصلاح الأوضاع عقب الحرب.

حلت فرنسا حزب الشعب الجزائري وسجنت زعيمه مصالي الحاج و أعضاء آخرين أمثال « معروف بومدين ، محمد خيضر، الشاذلي المكي، عمار بوجريدة، مفدي زكريا و اخرون بحجة قيامهم بنشاط معادي لفرنسا وتحريضهم للجنود الجزائريين على العصيان وعدم المشاركة في الحرب ضد السوريين في بلاد الشام. [1]» كما ضيّقت فرنسا الخناق على جمعية العلماء و الشيوعيين، في حين اندفع النواب و النخبة إلى تأييد فرنسا "الديمقراطية" ضد ألمانيا "النازية" فتطوع زعيمهم فرحات عباس الذي التحق بجبهات القتال كصيدلي احتياطي لخدمة الحرية. و يتكرر نفس المشهد الذي حصل قبيل و خلال الحرب العالمية الأولى فتنشط وسائل الدعاية الفرنسية لإظهار الجزائريين كمخلصين لهم « مستشهدين على ذلك بما يردهم من تأييد من بعض الأسر الكبيرة و رجال الدين

[1]أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص 176.

الرسميين، وأصحاب الأوسمة والشهادات، وقدماء المحاربين، وطائفة القياد و الباشاغوات وشيوخ العرب». [1]

وليس هناك أفصح مما صرّح به الحاكم العام جورج لوبو في كلمته بالراديو الجزائري قائلا: « إن عملية الاستنفار في جزائرنا تجري بطريقة تثير الإعجاب في نظامها وانضباطها»[1]. وبالفعل تمكنت فرنسا من تجنيد« 136000من الجزائريين وضعتهم في الصفوف الأولى من جيشها وقد سقط منهم 12000في جبهات الحرب بأوروبا»[2] ، سنرى لاحقا كيف سيكون جزاء هؤلاء المجنّدين.

أما في سوريا فقد كان الحراك السياسي، عشية الحرب العالمية الثانية، منصبا على تداعيات معاهدة 1936بين مؤيد ومعارض لها، وسعي حثيث من الكتلة الوطنية لدفع الحكومة الفرنسية للمصادقة على الاتفاقية ولكن بدون جدوى، مما أدى إلى أزمة سياسية أفضت إلى استقالة الحكومة ورئيس الجمهورية ، عندئذ تولى المفوض السامي السلطة التنفيذية بنفسه و أوقف العمل بالدستور وحل المجلس النيابي ثم أقام حكومة إدارية برئاسة بهيج الخطيب سميت «حكومة المديرين» والتي كانت تنفذ مطالب المستعمرين حرفيا، واضطهدت العناصر الوطنية حيث "اعتقلت صاحب جريدة القبس نجيب الريّس و ابن عمه منير

[1] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ص170، نقلا عن ج.ل.ل "شمال إفريقيا والحرب (إفريقيا الفرنسية) أغسطس-سبتمبر 1939ص 214.

[2]G. Meynier, Histoire intérieure du F.L.N 1954-1962 , Fayard, paris,2002,p.68.

الريس و الأمير عادل ارسلان وعارف النكدي وغيرهم في كثير من المدن السورية [1].

وبحجة الضرورات الحربية أعلن المفوض السامي الأحكام العرفية وخنق الفرنسيون الحريات وبدأت موجة من الإرهاب. واتخذت تدابير احترازية لحراسة الجسور وحلت الأحزاب ومنعت الاجتماعات والتظاهرات فرضت الرقابة على الصحف والمطبوعات والمراسلات. وقلت المواد الغذائية في الأسواق وارتفعت أسعارها وجرى تقنين المواد الغذائية ومصادرة كل ما يمكن أن يفيد الجيش الفرنسي. [2]

لم يقع بين يدي ما يؤكد أن فرنسا جنّدت السوريين في الجيش الفرنسي تحسّبا للحرب، أو أرسلتهم إلى جبهات القتال في أوربا –كما فعلت مع مسلمي شمال إفريقيا – رغم احتمال تواجد البعض منهم ضمن قوات اللفيف الأجنبي. لكن المؤكد هو أن هناك الآلاف من السوريين كانوا عاملين ضمن قوات الشرق التابعة للجهاز العسكري الفرنسي في سوريا و لبنان .

[1]علي رضا، قصة الكفاح الوطني في سوريا سياسيا وعسكريا حتى الجلاء، المطبعة الحديثة، حلب، سوريا، 1979، ص458-459.

(2)عبد الرحمان البيطار، تطور الوحدة السورية اللبنانية من نشوب الحرب العالمية الثانية إلى ما بعد الاستقلال 1939- 1950، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ص9، نقلا عن حنا خباز وجورج حداد: فارس الخوري، حياته وعصره، مطابع صادر ريحاني، بيروت 1952.

1 –2 هزيمة فرنسا في الحرب و أثرها على البلدين .

تمكنت القوات النازية من اختراق خطوط الدفاع الفرنسية و الدخول إلى العاصمة باريس في 14 جوان/ يونيو، و انقسم الفرنسيون إلى موالين للاحتلال الألماني يقودهم المارشال فيليب بيتان من مدينة فيشي ، فدعيت حكومته بحكومة فيشي، ومعارضين يقودهم الجنرال شارل ديغول من العاصمة البريطانية لندن في إطار حركة «فرنسا الحرة» . على إثر هذا التغيير الحاصل في فرنسا وقع تغيير كذلك على مستوى القيادات الفرنسية في المستعمرات.

في سوريا اصبح الجنرال اوجين ميتللهوزر[1] قائدا للجيوش الفرنسية في المشرق خلفا لمكسيم ويغان واستمر غابريال بيو مفوضا ساميا ، لكن تمرد بعض الضباط و انضمامهم لقوات «فرنسا الحرة» جعل حكومة فيشي تستدعيه و تعين مكانه جون شياب[2]، إلا أن هذا الأخير قتل اثر سقوط طائرته في الطريق إلى بيروت بقذائف بريطانية أو ايطالية فوق البحر الأبيض المتوسط.

[1] اوجين ديزيتي انطوان ميتلهوزر(1949 – 1873) جنرال قائد قوات فيشي في سوريا ولبنان.

[2] جون باتيست اوجين شياب (1878-1940) عيّنه الماريشال بيتان مفوضا ساميا في سوريا ولبنان تعرضت طائرته الى قصف بريطاني او ايطالي فوق البحر الابيض المتوسط وهو متوجه الى بيروت فخلفه هنري دانتز.

فأرسلت باريس مكانه الجنرال هنري دانتز[1] مفوضا ساميا جديدا وهو الذي وقّع الهدنة وسلّم باريس للألمان.

أما في الجزائر فقد عيّن رجل عسكري هو الأميرال جان شارل أبريال خلفا للحاكم العام المدني جورج لوبو ليتولى كلاهما التنسيق العسكري مع قوات المحور طبقا للتعليمات الواردة من حكومة فيشي، لكن هذا الأخير سرعان ما طلب التقاعد ليخلفه مكسيم ويغان الذي أصبح يلقب " ممثل عام للحكومة في إفريقيا الشمالية" إضافة إلى إشرافه على الحكومة العامة في الجزائر حتى نوفمبر1941.[2]

كانت هزيمة فرنسا أمام الجيش الألماني أمرا مفاجئا للسورين و الجزائريين لكنها مفاجأة سارة تركت أثرا طيبا في نفوسهم .هاهي فرنسا التي لطالما أوهمت سكان المستعمرات بأن جيشها لا يقهر

[1]هنربدانتز (1881-1945) جنرال عينته حكومة فيشي الفرنسية مفوضا ساميا في سورية ابتداء من 1940 .

[2]أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع المرجع السابق، ص172-173. ودائما حسب سعدالله نقلا عن النيويرك تايمز ليوم 1941/2/9 وعن نوشي في كتابه " ميلاد الوطنية الجزائرية ، ص126-127 « فان ويغان كان معروفا-لدى الفرنسيين- بأنه المسؤول عن ضياع سوريا من فرنسا،وقد جاء إلى الجزائر ليحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الإمبراطورية ،ولذلك لا نستغرب أن يركّز الفرنسيون ، بعد ضياع سوريا من أيديهم على الجزائر خوفا من انهيار- سمعتهم تماما، سيما بعد أن كانت الصحافة الفرنسية قي باريس و الرأي العام هناك ينتقد بشدة موقف الحكومة من سورية، وهو الموقف الذي فسّر بأنه نتيجة ضعف الدفاع عنها .وكان مساعد الجنرال ويغان في إدارة الجزائر هو السيد شاتيل الذي أصبح بدوره حاكما عاما ابتداء من نوفمبر 1941 . »

و أمعنت في استخدامه لإذلالهم و تكميم أفواههم و إجهاض حركات المقاومة في بلدانهم ، هاهي تهان في عقر دارها . فكانت تلك الهزيمة بمثابة نافذة أمل وفرصة لا تعوض للضغط على فرنسا المكسورة و المقهورة ولتحقيق مكاسب سياسية من ورائها وهو ما يؤكده تزايد المبادرات الوطنية في كل من سوريا و الجزائر بداء من عام 1941 . قام شكري القوتلي بإصدار بيان نشرته الصحف السورية في 6 كانون الثاني1941 يدعو فيه إلى إنهاء الأحكام العرفية و الإفراج عن المعتقلين السياسيين[1] ومما جاء في هذا البيان أيضا: «إن البلاد السورية لا ترضى عن هذا الاضطهاد والإهمال ولابد من العمل على إنقاذها وإن تكن الحرب قائمة، فالمطالب القومية لا تتحقق في نظام استعماري عانى منه الشعب ظلماً وحرماناً ولم يتغير مهما اختلف الشكل والسبب. ولا عذر في قيام الحرب فقد يطول أجلها. وسورية طال انتظارها وصبرها على ادعاء المحتل قيامه بالمهمة التي انتدبته من أجلها عصبة الأمم. وما كان حكمه إلا استعمارياً يعادي هدف المهمة الأولى. بل إن جمعية الأمم أوقفت أعمالها»[2]. وفي الجزائر قام فرحات عباس في 10 أفريل 1941 بتوجيه رسالة إلى الرئيس الفرنسي الماريشال فيليب بيتان بعنوان "جزائر الغد" انتقد فيها النظام الاستعماري و اقترح فيها مجموعة

[1]وليد المعلم، سوريا 1916 – 1946، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1987، ط1،ص350-351.

[2]عبد الرحمن البيطار، تطور الوحدة السورية اللبنانية من نشوب الحرب العالمية الثانية إلى ما بعد الاستقلال1939-1950- دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 15.

من الإصلاحات يراها ضرورية في الجزائر. وقد كان لهاتين المبادرتين أثرهما في مجرى الأحداث وان كان أثرا مختلفا.

أصبح شكري القوتلي زعيما للكتلة الوطنية بلا منازع نظرا لوجود القادة الآخرين في بغداد ومصر أو في السجن. وأدّى بيانه إلى الزيادة في السخط الشعبي من خلال المظاهرات والإضرابات و إحجام الزعامات الموجودة على المشاركة في إدارة الجنرال دانتز.

وفي نفس الوقت ازدادت العلاقات سوءاً بين بريطانيا و سلطات حكومة فيشي فأقفلت الحدود بين سورية ولبنان من جهة وبين الأقطار الخاضعة للنفوذ البريطاني والمحيطة بها من جهة أخرى. وقد أضر ذلك بالاقتصاد السوري . وفقد التجار ثقتهم بالعملة الورقية التي يصدرها بنك سورية ولبنان. وهو مؤسس برؤوس أموال فرنسية فانتشرت السوق السوداء نتيجة جشع الملاك والتجار الذين اختزنوا القمح. وأصبحت سورية مهددة بالمجاعة بسبب قلة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار. وكانت المظاهرات التي عمت المدن السورية في أوائل 1941 تنادي (نريد الخبز والزيت والسكر). فأمر المفوض السامي هنري دانتز بتدخل الجنود ولكنه عاد فأخذ بالتساهل وحاول معالجة المشكلات القائمة بالأساليب السهلة والتدابير الهينة، فأصدر عدة قرارات تنظيمية وقام بمشاورات ساهمت نسبيا في تكريس بعض الاستقرار السياسي.

أما في الجزائر فإن رسالة فرحات عباس الموّجهة للمارشال بيتان لم تحدث نفس الأثر إلا أنها كانت بداية لحركية سياسية

جديدة أثمرت بعد نزول الحلفاء في شمال إفريقيا بالاستفادة من الصراع بين الديغوليين و الفيشيين من جهة وقيادة الجنرال جيرو و الجنرال ديغول من جهة ثانية .

1- 3 - الجزائر و سوريا مسرحان للحرب العالمية الثانية

يمكن القول أنه بالرغم من سيطرة النظام الاستعماري الفرنسي على كلا البلدين إلا أن هناك مؤثرات هامة أفرزت خصوصيات مميزة نسبيا لكل واحد منهما بحكم العامل الجيو- سياسي لمنطقتي الحوضين الشرقي و الغربي للمتوسط .

نظرا لتبعية البلدين إداريا لفرنسا امتدت الحرب إلى الجزائر و سوريا . كما أن إستراتيجية الحلفاء العسكرية كانت تقتضي إدخال البلدين المرجع السابقين خطة العمليات الحربية. فسوريا في الحوض الشرقي من المتوسط تعتبر همزة وصل بين الشرق الآسيوي و القارة الأوروبية ، وتتمركز بها قوات بريطانية هامة و هي في نفس الوقت قريبة من مناطق النفوذ البريطانية في المشرق عموما وتحديدا العراق ، الأردن ، فلسطين ، مصر ، قبرص.. وليست بعيدة من قناة السويس، التي تعتبر الممر الرئيسي لضمان الإمدادات نحو جبهة الشرق الأقصى، كل ذلك جعل سوريا و لبنان من الحلقات الهامة في المجال الجيو- إستراتيجي للحرب الدائرة بين الحلفاء ودول المحور ،يضاف إلى ذلك ، أن البعد الجغرافي بين سوريا ومقر الحكومة الفرنسية في باريس سيمنح للسوريين هامش أوسع من النشاط السياسي لم يحظ به أشقاؤهم الجزائريون.

أما الجزائر التي تقع في الحوض الغربي من المتوسط فهي بوابة القارة الإفريقية فضلا عن قربها من فرنسا و إشرافها على سواحل متوسطية طويلة . وزادت أهميتها الاستراتيجية في المخطط العسكري للحلفاء خاصة بعد الطلب السوفياتي بضرورة فتح جبهة جديدة ضد المحور لتخفيف الضغط على الجيش الأحمر. و بالرغم من أن الاقتراح السوفياتي كان يطالب بفتح الجبهة الجديدة في القارة الأوروبية إلا أن رئيس الحكومة البريطانية ونستون تشرشل قرر أن تكون في شمال إفريقيا لضرب التحالف الألماني الايطالي في ليبيا والانطلاق لاحقا من شمال إفريقيا لتحرير ايطاليا و جنوب فرنسا . وقد لقي هذا التصوّر استحسانا وتزكية من الرئيس الأمريكي فرانلكين روزفلت[1].

وقبل الحديث عن تفاصيل الإنزال في شمال إفريقيا من الضروري أن نذكّر بأهم الأحداث الحربية التي شهدتها كل من الجزائر وسوريا في بداية الحرب في سياق العمليات الحربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا .

إن ما يميّز تلك العمليات هو الأداء الضعيف للقوات الفرنسية . وهو ما ترجمته معاملة الحلفاء لها والتي غلب عليها التجاهل والإقصاء والتهميش . بل إن النزاع والتنافس الذي كان سائدا بين قادة الجيش الفرنسي بين الأحرار و الفيشيين ، كان

[1]فرانلكين روزفلت(1882-1945) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بين 1933-1945 من الحزب الديمقراطي.

مصدر قلق كبير لدى قادة الحلفاء نظرا لما يمكن أن يتسبب فيه من إخلال بالتوازنات الحربية في شمال إفريقيا.

و يمكن القول بأن إدراكنا ما أصاب الجيش الفرنسي من انقسام ووهن وضعف وتهميش سيساعدنا على فهم ما أقدم عليه من استخدام مفرط للقوة في التعامل مع المسألتين الجزائرية و السورية في نهاية الحرب .

بدأت العمليات الحربية الهجومية لقوات الحلفاء من شمال إفريقيا بحكم أن الجبهة الأوربية كانت قد سقطت تحت ضربات الألمان و حلفائهم في غرب و وسط و شرق و جنوب أوربا ، و نظرا لتواجد قوات المحور الايطالية في شمال إفريقيا، على التراب الليبي المحاذي لمصر الواقعة تحت السيطرة البريطانية، كانت الحرب سجالا بين الطرفين، الجيش البريطاني ، تساعده القوات التابعة للإمبراطورية البريطانية من جنوب إفريقيا ونيوزيلندا و الهند وعدد قليل من قوات فرنسا الحرة، بقيادة ويفل وبعده أوكلنك ثم مونتغمري و التحالف الألماني-الايطالي بقيادة رومل . انتهت المعارك بانتصار الجيش الثامن البريطاني في معركة العلمين في خريف سنة 1942.

إجمالاً كان البريطانيون متفوقين في معركة العلمين على قوات المحور، وهذه ترسانة كل منهما:

- 195,000 جندي بريطاني وحليف مقابل 104,000 جندي محوري.
- 1029 دبابة للبريطانيين مقابل 489 للمحور.

- 2311 مدفع للبريطانيين مقابل 1219 للمحور.
- 750 طائرة للبريطانيين مقابل 675 للمحور.[1]

بالإضافة الى ذلك كان طريق الإمدادات قصير بالنسبة للبريطانيين، حيث يبعد ميناء الإسكندرية حوالي 110 كم عن الجبهة، ويبعد ميناء السويس حوالي 345 كم عن الجبهة. أما بالنسبة للمحور فإن أقرب ميناء وهو طبرق يبعد أكثر من 590 كم عن الجبهة، كما يبعد ميناء بنغازي أكثر من 1050 كم، ويبعد ميناء طرابلس أكثر من 2100 كم.أضف إلى ذلك أن طريق الإمدادات بالنسبة لقوات المحور يتعرض للغارات من القاعدة البريطانية في جزيرة مالطة، ومن الفدائيين في الصحراء. انتصر القائد مونتغمري على القوات المحورية و قد ساعدته كذلك مجموعة من العوامل منها بما يلي:

1-تضاؤل التموين عبر البحر المتوسط لقوات المحور إلى خمس الحاجات الاعتيادية بسبب إغراق ثلاثة أرباع سفن التموين من قبل القوة الجوية الملكية البريطانية خصوصاً المحروقات.

2-ازدياد القوة الجوية البريطانية بالطائرات كماً و نوعاً، وتضاؤلها لدى المحور على مسرح شمال إفريقيا لحاجة هتلر لها على مسرح روسيا.

4-عدم احتلال جزيرة مالطا من قبل المحور، وهي قاعدة الحلفاء لضرب قوافل البواخر المحورية.

---

[1]http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9. visité le 20/05/2010 à 20h00.

5-طول خطوط التموين لقوات المحور، وقصرها بالنسبة للحلفاء.

6-عدم مد رومل بحاجته من الدبابات الجديدة والجنود الأكفاء لاستبدال الأعداد التي أنهكت.

7 -تدخل هتلر المباشر في العمليات وعدم السماح بالانسحاب في الوقت المناسب، وعدم وفائه بوعوده لرومل من احتلال مالطة وتلبية حاجاته الضرورية.

كانت خسائر الطرفين كالتالي:

-**الحلفاء** 13000:جندي و500 غير قابل للتصليح و 500 مدفع و 250 طائرة.

أما قوات المحور 15000:جندي و 30000 أسير و450دبابة و800مدفع و400طائرة[1].

لقد قال تشرشل عن معركة العلمين: «إن معركة العلمين تشكل نقطة تحول في التراث العسكري البريطاني في خلال الحرب العالمية، قبل العلمين كنا نصارع من اجل البقاء، أما بعدها فأصبحنا ننتصر.» [2] وبعد هذا الانتصار استمر الزحف البريطاني الضاغط على القوة المحورية المتراجعة باتجاه تونس من الشرق و الزحف الانجلو-أمريكي بنفس الاتجاه من الغرب ليلتقي الطرفان في تونس مع بدية سنة 1943 ومن هناك انطلقت حملة الحلفاء نحو جنوب ايطاليا لتحريرها من الفاشية . وهي الحملة التي شارك فيها الآلاف

[1]http://www.defense-arab.com/vb/showthread.php?t=979.

visité le 20/05/2010 à 20h30.

[2]http://www.defense-arab.com/vb/showthread.php?t=979,opcit.

من المجنّدين الجزائريين و المغاربة ضمن القوات الفرنسية، وكان لهم فيها أداء مميزا مكّن من اختراق الحصون الدفاعية لقوات المحور وذلك باعتراف القادة الأمريكيين و البريطانيين.

قبل بداية هذه المعارك في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، كانت الجزائر على موعد مع أولى العمليات العسكرية في شمال إفريقيا ، وهي العملية التي قامت بها البحرية البريطانية ضد البحرية الفرنسية في المرسى الكبير قرب مدينة وهران .

1-3- أ- عملية «كاتابلت »(المنجنيق) عام 1940 في الجزائر.

بدأ الاستعداد لهذه العملية البحرية بقيادة الأميرال البريطاني سومرفيل منذ منتصف جوان /حزيران 1940 لما تموضع الأسطول الذي كان تحت إمرته في عرض المتوسط قبالة سواحل مدينة وهران . وكان هذا الأسطول « يتكون من حاملة طائرات و بارجتين ، و 3سفن حربية و11 مدمرة وفي الجهة الثانية كان الأسطول الفرنسي الراسي بميناء المرسى الكبير بوهران يقوده الفرنسي اوغست غنسول ويتكون هذا الأسطول من بارجتين حربيتين قديمتين وسفينتين و15 طراد و6 مضادات للطراد و حاملة طائرات مائية و6 غواصات.[1]» ، بعد توقيع الفرنسيون على اتفاقية الهدنة مع الألمان يوم22 جوان 1940 ، نبّه الوزير الأول البريطاني ونستون تشرشل إلىأن هناك خطر جسيم يحدق بالحلفاء في شمال إفريقيا يتمثل في إمكانية انتقال الترسانة البحرية الفرنسية إلى

[1]Mers el-Kébir, attaque de." Microsoft® Études 2008 [DVD]. Microsoft Corporation, 2007.

الجيش النازي، فأوعز إلى الأميرال سومرفيل بالتحرك لمعالجة الموقف . هذا الأخير «وجه إنذارا إلى الأميرال غنسول قائد البحرية الفرنسية بوهران يدعوه فيه إلى الالتحاق بقوات الحلفاء أو الانسحاب باتجاه جزر الانتيل الفرنسية في البحر الكاريبي وإلا سيكون مضطرا للهجوم لتدميره. »[1] ،لم يستجب الأميرال غنسول للإنذار البريطاني فبدأت المعركة في 03 جويلية 1940 و تمكنت القوات البريطانية من تدمير و إغراق أغلب قطع الأسطول الفرنسي التي لم تقو على مواجهة الهجمات السريعة و المركزة للبريطانيين. و قد كانت الخسائر كالتالي: «1297 قتيلا فرنسيا، تدمير بارجتين و سفينة حربية و مضاد للطراد و طرادين مقابل أربعة طائرات بريطانية وقتيلين من الجيش الملكي»[2]. مثّلت نتيجة هذه المعركة ضربة موجعة للفرنسيين ساهمت في إذكاء روح العداء تجاه البريطانيين و حتى أنصار فرنسا الحرة، خاصة بعد تصريح شارل ديغول المؤيد للهجوم البريطاني. و قد أضعفت هذه العملية القدرات الحربية للفرنسيين و أحطت من معنوياتهم بينما قللّت من شأنهم في عيون الحلفاء و عيون الشعب الجزائري خاصة.

[1] A.Nouschi, Les Armes Retournées, colonisation et décolonisation françaises, Ed Belin, Paris, 2005, p 190-191.

[2]Débarquement d'Afrique du Nord," Microsoft® Études 2008 [DVD].,opcit.

1-3-ب- عملية «اكسبورتر» (المصدّر) عام 1941 في سوريا.

في الحوض الشرقي من المتوسط تتسارع الأحداث و تدخل المنطقة ضمن دائرة الاهتمامات الألمانية التي كانت إستراتيجيتها تقضي بالاقتراب من مصادر النفط في إيران و العراق و تأليب سكان المنطقة ضد بريطانية و فرنسا بالإضافة إلى مراقبة الطريق نحو الهند و العمل على إخراج تركيا من حيادها و دفعها إلى الانضمام إلى المعسكر النازي.

لتجسيد هذه الإستراتيجية استغل الألمان وثيقة الاستسلام التي وقعها الفرنسيون معهم في 22 جوان 1940 والتي تكرس التعاون بين حكومة فيشي و الحكومة الألمانية، وتفتح الأبواب أمام الألمان و أجهزة دعايتهم في سوريا و لبنان. في هذا الإطار راح الألمان يعزفون على وتر "عدو العدو صديق" لكسب مساندة العرب بل ودغدغوا عواطفهم بإظهار عداوتهم للمطامع الصهيونية في فلسطين و استعدادهم لدعم وإسناد حركة العرب السياسية والعسكرية للتخلص من السيطرة الاستعمارية الفرنسية و البريطانية من اجل إقامة دول قومية . وقد أثمرت هذه الدعاية الألمانية استمالة الكثير من العرب بما فيهم بعض القادة البارزين، نذكر من بينهم في المشرق رئيس الحكومة المصرية على ماهر والزعيم الفلسطيني الحاج أمين الحسيني ورئيس الحكومة العراقية رشيد عالي الكيلاني.

فلنتوقف قليلا عند نقطة تعامل هذا الأخير مع الألمان نظرا لصلتها بموضوعنا في شقّه السوري ولكونها تبرز الطابع التضليلي لتلك

الدعاية معا. لقد قاد الكيلاني حركة انقلابية ضد النظام العراقي الخاضع لبريطانيا ، وذلك في ربيع سنة 1941. «وتم تبليغه بتعهّد ألمانيا بإسناده عسكريا عن طريق حلفائها الفرنسيين في سوريا لكن الإمدادات التي وصلته فعلا هزيلة للغاية من جميع الوجوه»[1] فقد كان لحركته المعادية لبريطانيا صدى ايجابيا لدى العرب جميعا و لدى العناصر الوطنية في سوريا بصورة خاصة إذ كثرت زيارات عبد الرحمن الشهبندر والجابري لبغداد أما «شكري القوتلي فإنه ألّف لجنة سورية في دمشق لجمع المال لرشيد الكيلاني وفي حماه جمع أكرم الحوراني عددا قليلا من صغار الضباط واندفع بهم لنجدة الكيلاني»[2]

أثارت حركة الكيلاني و علاقته مع الألمان وعدائه الشديد لبريطانيا و عملائها مخاوف مشتركة لدى البريطانيين و الفرنسيين الديغوليين معا . أما البريطانيون ،لأن تلك الحركة كانت تجري في منطقة نفوذهم التقليدي و التي تزداد أهميتها الجيو – إستراتيجية بسرعة وكان ضياعها خطر كبير لفائدة أعدائهم مما يعني القضاء على المصالح البريطانية. فقد صرح تشرشل موضحا: « بوجود الألمان في سوريا تكون مصر ومنطقة القناة الحيوية ومصافي عبدان مهددة بالهجمات الجوية المباشرة والمستمرة ، وتكون وسائل مواصلاتنا

[1] عن الاتصالات بين حكومة الكيلاني و المحور لاسيما حول مسألة السلاح أنظر: اسماعيل احمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1974، ص 206-237 .

[2]سيل باتريك، الصراع على سورية، 1945-1958،ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة،دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980، ط 1، ص26 .

بين فلسطين و العراق معرضة للخطر...فيصبح مركزنا الدبلوماسي في تركيا والشرق الأوسط ضعيفا بشكل خطير... »[1]، كما أن وقوع العراق في يد الألمان من شأنه ترجيح كفة الحرب لدول المحور في الشرقين الأوسط و الأقصى فيما بعد.

أما الفرنسيين الأحرار بزعامة ديغول فقد فكانوا يخشون هذا التحالف الألماني - الفرنسي (الفيشي) كما يخشون قيام بريطانيا بعمل منفرد لوضع حد لدعم الفيشيين وأنصارهم مما قد يؤدي إلى ضياع منطقة النفوذ الفرنسية في سوريا و لبنان وحلول بريطانيا محلهم . وقد « استشار ديغول مساعديه في الأمر، ورغم أن غالبيتهم عارضوا فكرة الإسهام العسكري الفرنسي إلا أن ديغول تخطى نظرية الأكثرية وقرر المشاركة في العمليات[1] »

بعد اتصالات أنجلو- فرنسية مكثفة تقرر القيام بعملية عسكرية مشتركة لغزو سوريا وافتكاكها من الفيشيين . تمهيدا لذلك أصدر الجنرال كاترو تصريحا أعلن فيه :

" أيها السوريون و اللبنانيون الكرام

في الوقت الذي تدخل فيه قوات الفرنسيين الأحرار، بالاتحاد مع قوات حليفتهم الإمبراطورية البريطانية، إلى بلادكم، أصرح بأنني قد توليت سلطات ممثل فرنسا في الشرق ومسؤولياته وواجباته،

[1] نزار الكيالي ، دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر 1920-1950، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، دمشق ،1997، ط1، ص108.

(2) لبيب عبد الساتر ، أحداث القرن العشرين، دار المشرق، بيروت، 1983، ط4، ص123.

وذلك باسم فرنسا الحرة، فرنسا ذات التقاليد المجيدة فرنسا الحقيقية وباسم زعيمها الجنرال ديغول.

وإني قادم إليكم بهذه الصفة لإنهاء عهد الانتداب ولأعلن حريتكم واستقلالكم. وبناء على ذلك، ستصبحون من الآن فصاعداً شعباً حراً ذا سيادة، (سواء بقيتم منفصلين أو كنتم دولة واحدة)، وستتمكنون من أن

تؤلفوا لأنفسكم دولاً منفردة أو أن تتحدوا في دولة واحدة، وفي أي من الحالتين سيضمن استقلالكم وتكفل سيادتكم بمعاهدة توضح بها العلائق المتبادلة بيننا. وستجري المفاوضات لعقد هذه المعاهدة بين ممثليكم وبيني في أقرب ما يمكن. وريثما تعقد هذه المعاهدة سيكون موقف بعضنا من بعض موقف الحليف من حليفه، متحدين معاً كل الاتحاد في سبيل مثل أعلى واحد وأهداف مشتركة" .[1]

وتزامنا مع إعلان كاترو، أصدر المفوض السامي البريطاني في مصر مايلز لمبسون تصريحا مماثلا ذكر فيه أنه نيابة عن حكومة صاحب الجلالة البريطانية يعلن تأييد ضمان الاستقلال الذي أعطاه الجنرال كاترو باسم الجنرال ديغول . وأضاف إلى ذلك توصيف ما تجنيه البلاد من فوائد كبرى في تجارتها وفي علاقاتها مع البلدان الداخلة في نطاق الجنيه الإسترليني إذا هي أيدت الحلفاء وانضمت إليهم.

[1]عبد الرحمن البيطار، المرجع السابق، ص22.

بل إن بريطانيا أذاعت هذا الاعتراف الفرنسي باستقلال سورية ولبنان على لسان رئيس وزرائها تشرشل ووزير خارجيتها ايدن. ولم ترق هذه الضمانة للجنة فرنسا الحرة وحاولت أن تعارضها وتتخلص منها. ولكن البريطانيين أصروا على ذلك لأنهم يقدمون كل مايلزم لفرنسا الحرة والجنرال ديغول في الميادين الاقتصادية والعسكرية. فلم يسع فرنسا الحرة إلا القبول.

وقد كان الجنرال ديغول يعلم مدى التأثير البريطاني في مجرى الأحداث، إذ يقول في هذا الصدد : "بينما كان الانجليز والفرنسيون الأحرار يستعدون للعمل سوية في الميدان العسكري، فإن تنافسهما السياسي بدأ يرتسم وراء الواجهة، وبدأت السياسة الانجليزية تمهد لتحل محل فرنسا في دمشق وبيروت. فيما كان كاترو يستعد لإعلان بيانه بالاستقلال، طلب السير مايلز لمبسون أن يكون الإعلان باسم بريطانيا وفرنسا الحرة معاً. فرفضت بطبيعة الحال. عندها أصر السفير لمبسون أن يتضمن الإعلان ضمان بريطانيا لوعدنا هذا فلم أقبل هذا الطلب، مشيراً إلى أن كلام فرنسا لا يحتاج إلى ضمانة أجنبية. فأبرق إلي المستر تشرشل في 1941/6/6 عشية الحملة يعبر لي عن تمنياته القلبية وأكد على الأهمية التي تمثلها هذه الضمانة، فأجبته على هذه التمنيات ولكن ليس على هذا الادعاء... وأخيراً أعلن بيان كاترو كما كان يجب أن يكون. وحالاً أصدرت حكومة لندن بياناً آخر منفصلاً باسمها...."[1].

[1] عبد الرحمن البيطار، المرجع السابق، ص23-24.

قبل الفصل في أمر سوريا كان على بريطانيا أولا وضع حد لحركة الكيلاني وتخليص العراق من الخطر الألماني . فتحركت قواتها يوم 14ماي/ايار 1941 باتجاه بغداد و بعد معارك عنيفة بينها و بين القوات المقاومة تمكن البريطانيون من الدخول إلى بغداد في 30 ماي/ايار ، وفر الكيلاني و الحاج أمين الحسيني إلى طهران و منها إلى برلين حيث قاما بتنظيم ما عرف بـ : "جيش التحرير العربي"، في حين انسحبت البعثة الألمانية من بغداد لتتجه إلى سوريا فتجمعت أرتالها في مدينة حلب .حينها أبرق الجنرال دانتز إلى حكومته في باريس ليشعرها بخطورة الموقف و خشيته من أن يتكرر سيناريو العراق بسبب وجود الألمان في سوريا.

في ظل هّذه الملابسات بدأت العملية المسماة « اكسبورتر »في بلاد الشام يوم 8 جوان/حزيران 1941. كانت قوات فيشي المقدّرة بنحو 30 ألف جنديا أكثر من ثلاث أرباعهم من السوريين واللبنانيين وهي القوات الخاصة المتنازع عليها و الباقي من الجيش الإفريقي، و الرماة الجزائريون والصبايحية و اللفيف الأجنبي، و من الجهة المقابلة القوات البريطانية بقيادة الجنرال مايتلند ولسون بدعم من قوات استرالية و هندية و التشيك الأحرار و الفرنسيين الأحرار،و قوات الحبانية أو قوة بادية الاردن (هابفورتس) التي كانت ساهمت بالعراق في إخماد ثورة رشيد عالي الكيلاني . انطلقت المعارك على ثلاثة محاور، القوات استرالية عبر الساحل اللبناني مدعومة بتغطية البحرية البريطانية و القوات الهندية و قوات فرنسا الحرة انطلاقا من شرق الأردن باتجاه درعا، دمشق، حمص،

والقوات الحبانية من الشمال عبر الحدود العراقية [1]. تبدأ الهجمات المضادة لقوات فيشي المرابطة في سوريا و التي كان في صفوفها عدد كبير من الجزائريين (حوالي 6 فيالق) و كذلك فوج الصبايحية الثامن، بالإضافة إلى الفوجين 6 و7 للخيالة الجزائريين ضمن سلاح المدرعات.[2] استمرت الهجمات المضادة لقوات فيشي إلى غاية يوم 21 جوان/حزيران 1941 تاريخ دخول قوات فرنسا الحرة إلى العاصمة دمشق، لتتوقف المعارك في اليوم الموالي لكنها بقيت مستمرة في لبنان إلى غاية 12 جويلية، ليتم بعدها توقيع الهدنة في مدينة عكا يوم 14 جويلية بين الحلفاء بقيادة الجنرال البريطاني مايتلند ولسون والجنرال جوزيف دي فرديلاك عن الفيشيين .وأصبح على هذا الانتصار الجنرال كاترو مندوباً عاماً لفرنسا في سورية ولبنان كما كان يرغب تشرشل، وليس مفوضاً سامياً كما كان يريد الفرنسيون مثلما كانت التسمية في السابق (1919-1941).

كانت الحصيلة ضخمة . فقد «سقط 1066 قتيل و 5400 جريح في صفوف قوات فيشيو 650 قتيل و جريح من قوات فرنسا الحرة في حين فقدت القوات البريطانية (و معها القوات الاسترالية والهندية) 4060 ما بين قتيل و جريح»[3] .و طبقا لاتفاق عكا نقل

[1]http://fr.wikipedia.org/wiki/Campagne_de_Syrie_(1941).visitéle 28/02/2010 à 14h.

[2] http://www.alger- roi.net/Alger/armée _afrique/ page_liées/3_tirailleurs _n46.htm .visité le 10/03/2010 a 20h.

[3]http://www.farac.org/php/article.php3?id_article=186. visité le 13/02/2010

اغلب الفرنسيين إلى ديارهم و منهم عدد كبير من أفراد الفوجين 29 و 22 للرماة الجزائريين الذين وجهوا إلى ثكنات في سكيكدة و بوغار و القليعة بالجزائر.وتجدر الإشارة إلى أن قسما من هؤلاء (حوالي 900جنديا ضمن الكتيبة 22) سيشارك في عملية "تورش " خلال إنزال شمال إفريقيا.

عموما يمكن القول بأن عملية " اكسبورتر "التي شاركت فيها قوات فيشي المتواجدة في سوريا و لبنان بقوة عسكرية معتبرة بينما كانت مساهمة قوات فرنسا الحرة مساهمة محدودة(مابين 2500 الى 3000 جندي) التقى فيها الطرفان في معارك طاحنة كان لها بالغ الأثر المعنوي عليهما ، لكن العملية في الأخير انتهت سياسيا و عسكريا لصالح الحلفاء واستفاد «أحرار فرنسا » منها بأن أعادوا بسط حكم فرنسا في المنطقة. هل كان في مقدورهم الحفاظ على هذا المكسب ؟ كما نسجل وقوع كثير من الخراب و الدمار و اللاأمن عبر الأراضي الفلسطينية و اللبنانية و السورية جراء المعارك التي جرت في عدد من المدن مثل عكا و حيفا و صيدا و صور و بعلبك و حمص و حماه و دمشق و تدمر و دير الزور والسويداء.....مما اضطر الحكومتين السورية و اللبنانية للتدخل لدى المفوض السامي الجنرال دانتز" للإعلان عن أن مدينتي دمشق و بيروت مفتوحتان، ثم طالبتا بوقف القتال قبل تدمير البلدين.[1]

à 21h.

[1] وليد المعلم، سوريا 1916-1946 المرجع السابق، ص 362.

تجدر الملاحظة إلى وقوع الكثير من الانسحابات المتكررة لأفراد قوات الجيش و الدرك السوريين و اللبنانيين من قوات فيشي و عدم امتثالهم للأوامر العسكرية مما ساهم بشكل مباشر في إضعاف موقف الفيشيين في المعارك رغم تفوقهم العددي مقارنة بالبريطانيين(القوات الفيشية 35ألف جندي مقابل 15ألف جندي(منهم حوالي 3000من قوات فرنسا الحرة) [1].

1 -3- ج- عملية «تورش» (المشعل) في شمال إفريقيا عام 1942

جاءت هذه العملية العسكرية بعد الإلحاح الشديد للزعيم السوفياتي ستالين على ضرورة فتح جبهة جديدة لتخفيف الضغط على الجيش الأحمر. إلا أن رأي البريطانيين الذي جاء على لسان تشرشل كان يقضي بضرورة فتح هذه الجبهة في شمال إفريقيا لتخفيف الضغط على الجيش البريطاني الثامن الذي يخوض الحرب ضد التحالف الألماني- الايطالي [2] وبعد تخليص شمال إفريقيا من قوات المحور تعتمد كقاعدة انطلاق لتحرير جنوب أوروبا لاحقا . وقد لاقى الاقتراح البريطاني قبولا من الجميع لأنه يقدم خدمة مزدوجة للحلفاء في أوروبا وشمال إفريقيا في نفس الوقت .كانت أهداف عملية " طورش" تتمثل ميدانيا فيما يلي :

«- ضرب قوات رومل في الظهر و تصفية قوات المحور في شمال إفريقيا و بدء التطويق الاستراتيجي لها.

[1]عبد الرحمن البيطار، المرجع السابق ص21-24.

[2] للتعرف على الشخصيات الفاعلة انظر الملاحق رقم (19و20) ص127 و 128.

-تـأمين محـور المواصـلات البحريـة في المتوسـط وتخفيـف الضغط على قاعدة مالطة.

- كسب قوات فيشي في المغرب و الجزائر إلى جانب الحلفاء .

-تجربـــة معـــدات الإنـــزال البحـــري و تطويرهـــا، تمهيـــدا لاستخدامها في غرب أوروبا لاحقا .

-اتخـاذ تـونس قاعـدة انطلاق لغـزو صـقلية و بعـدها ايطاليـا لتحريرها من الفاشية».[1]

اتفـق الحلفـاء على تحديـد آمـاكن الإنـزال و حجـم القـوات المشاركة فيه كالتالي:

- الدار البيضاء في المغرب ينزل بها 35 ألف جنديا أمريكيا.

- وهران ينزل بها 39 إلف جنديا أمريكيا.

- مدينـة الجزائـر العاصـمة ينزل بهـا 10 آلاف جنـديا أمريكيـا و 23 ألف جنديا بريطانيا.[2]

أسندت القيادة العامة للجنرال الأمريكي دوايت ايزنهاور[3] . و بـالرغم مـن التخطـيط الجيـد و التنسـيق المحكـم و الجاهزيـة الفعالـة للقـوات الانجلـو- أمريكيـة إلا أن مـا كان يقلـق الحلفـاء هـو الموقـف الـذي سـتتخذه القـوات الفرنسـية المتواجـدة في

[1]http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/HarbAlam2/sec03.doc_cvt.htmvisité le 02mars2010 a 19h.

[2]http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/HarbAlam2/sec03.doc_cvt.htmvisité le 02mars2010 a 19h.

[3]دوايت دافيد ايزنهاور(1890-1969) جنرال امريكي هو قائد عملية انزال شمال افريقيا (عملية طورش).

شمال إفريقيا من الإنزال والتي يقدر عددها بأكثر من 110 ألف جنديا وهو رقم لا يستهان به في معادلة المعارك المحتملة التي ستدور هناك، خاصة وان هذه القوات موالية لفيشي وكانت لا تزال حديثة العهد بآثار المجزرة الرهيبة التي ارتكبها البريطانيون بحقهم في عملية «كاتبلت» بمرسى الكبير (وهران) 3جويلية/تموز1940 .كما كانت قوات فيشي لا تزال تحت وطأة المرارة الناتجة عن هزيمة زملائهم على اثر عملية " اكسبورتر" في سوريا و لبنان في 14 جويلية/تموز1941.

من جهة أخرى كانت مواقف كل من الجنرال جوان، قائد القوات البرية الفرنسية في شمال إفريقيا، و الجنرال اوغست نوغيص، المقيم الفرنسي العام في المغرب، غير معلومة ولا مأمونة. و بالرغم من ذلك راهنت القيادة الأمريكية - البريطانية على ما أوردته تقارير مورفي[1] و ماكميلان من ملاحظات ايجابية بشأن بعض القياديين العسكريين الفرنسيين مثل دارلان و جيرو وكذلك بشأن أتباعهم من عناصر المقاومة المعادية لحكومة فيشي . هذا ما يظهر من خلال «اتفاقية شرشال يوم 23 أكتوبر 1942 بين نائب القائد العام لقوات الحلفاء الجنرال كلارك وبعض المدنيين و العسكريين الممثلين للمقاومة الفرنسية منهم العقيد جوس و الجنرال ماسط

[1] روبرت مورفي (1894-1978) دبلوماسي أمريكي، كان الممثل الخاص للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفت في شمال افريقيا و المستشار السياسي للجنرال دوايت ايزنهار قائد عملية "تورش".

و برنـارد كارسـنتي و الجنـرال مونتصـابير وهنـري دي لافيجـري ودوبروييي... ».[1]. والملاحظ في هذا السياق انه جرى الاتصال بهذه المجموعة لضمان نجاح الإنزال في حين « أبقي شارل ديغول بمعزل عن هذا التمهيد السياسي ، إذ أن الاستفتاءات كلها ، التي أجريت في الجيش وبين السكان المدنيين قد اتفقت على تقرير الكراهية التي تثيرها الديغولية ،إذ كان ينظر لديغول على انه ضابط متمرد وشريك في مؤامرة المرسى الكبير، ومسؤول عن الاقتتال الأخوي في سوريا[2] ».كما تلقت القيادة الأمريكية تحذيرات بشأنه من فرنسيي الولايات المتحدة و كذلك من الدبلوماسيين الأمريكيين لاسيما الأميرال ليهي[3] والسفير مورفي اللذين كانا يتهمانه بنوع من الدكتاتورية في القيادة بينما لقي غريمه الجنرال جيرو ترحيبا و قبولا لدى القيادة الأمريكية بسبب ليونته و مرونته وبالأخص نظرا لضخامة تعداد القوات الواقعة تحت قيادته .

في هذه الظروف المعقدة جدا بدأت عمليات الإنزال في النقاط المتفق عليها انطلاقا من الدار البيضاء يوم 5 نوفمبر 1942، ثم وهران يوم 7 نوفمبر، ثم الجزائر يوم 8 نوفمبر. وقد ساعدت المقاومة المبعثرة و الأوامر المتعارضة التي تلقاها القادة العسكريون

[1] ريميونكارتييه، الحرب العالمية الثانية 1942-1945، ج2، ترجمة سهيل سماحة و احمد مسعود، مؤسسة نوفل، بيروت، 1983، ط2، ص 24 .

[2]نفسه.

[3] وليام ليهي (1875-1959) أميرال أمريكي عيّنه الرئيس روزفلت سفيرا لدى حكومة فيشي الفرنسية بين 1941-1942.

الفيشيون القوات الأنجلو- أمريكية ومكّنتها من تحقيق الانتصار و إخضاع المنطقة لسلطة ذلك التحالف.

ما يمكن استخلاصه في الأخير هو أن عملية " تورش" حققت أهدافها، فالإنزال كان ناجحا و بأقل حجم ممكن من الخسائر.كما أن تلك العملية أدت إلى ضم الجيش الإفريقي الفرنسي إلى صفوف الحلفاء . و كان هذا النجاح العسكري يضمن فرصة الانتقال إلى الحلقة الموالية في مخطط العملية ألا و هي محاصرة جيوش المحور في تونس و الانطلاق منها لتحرير ايطاليا من الفاشية .

و على المستوى السياسي أفضى هذا النصر العسكري إلى تحول حكام فيشي في الجزائر إلى مناصرين للحلفاء ثم إلى إحداث تقارب بينهم وبين الديغوليين تدريجيا و بشكل عسير وتصبح مدينة الجزائر مقر الحكومة الفرنسية المؤقتة . قبل أن تؤول القيادة العامة للجيش الفرنسي بعد شهور إلى الجنرال ديغول . مما سيشعر الفرنسيين بنوع من الانتعاش و الأمل في تحرير بلادهم واستعادة مركز فرنسا الدولي بما في ذلك ضمن إمبراطوريتهم الاستعمارية.

الفصل الثاني
الحرب العالمية الثانية في كل من الجزائر و سوريا
بين 1943-1945

2–1تغير ميزان القوة في بلاد العرب لصالح الحلفاء عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة

2-1- أ - الصراع الفرنسي- البريطاني في سوريا

2-1- ب - الصراع الفرنسي- البريطاني في الجزائر

2-2 - تطور مواقف الحركة الوطنية في الجزائر و سوريا

2-2- أ – بيان فيفري 1943 و تداعياته.

2-2- ب –المفاوضات السورية الفرنسية و مسألة «القوات الخاصة».

2 – 1 تغير ميزان القوة في بلاد العرب لصالح الحلفاء عموما و الأمريكيين خاصة.

تسارعت أحداث الحرب في أواخر سنة 1942، خاصة بعد الصمود و الانتصار السوفياتي في معركة ستالينغراد، وكذلك الانتصار البريطاني في معركة العلمين بمصر. فهما المعركتان اللتان تعتبرهما كتابات تاريخية عديدة معلمين لمنعرج حاسم في مسار الحرب .

وإذا كانت معركة ستالينغراد لا علاقة مباشرة لها بموضوعنا، فإن معركة العلمين كان لها بالغ الأثر على الصعيدين العسكري و السياسي في تطور الأحداث بالنسبة للمنطقة العربية في شمال افريقيا، وهي المعركة الحاسمة التي خاضها الجيش البريطاني بقيادة الجنرال مونتغمري[1] ضد القوات الألمانية – الايطالية بقيادة الجنرال رومل[2] بين 23 أكتوبر/تشرين الأول و 3 نوفمبر/تشرين الثاني 1942 والتي انتهت بتوجيه الضربة القاضية للإستراتيجية و السياسية لدول المحور الخاصة بالمنطقة. لقد جاءت معركة العلمين بعد سنة من الإطاحة بنظام رشيد عالي الكيلاني في العراق و افتكاك سوريا و لبنان من أيدي قوات فيشي المتعاونة مع المحور.

[1]الماريشال برنارد مونتغمري (1887-1976) قائد عسكري بريطاني وهو بطل معركة العلمين في مصر ضد قوات المحور.

[2]الجنرال ايروين رومل (1891-1944) الملقب بثعلب الصحراء، قائد عسكري ألماني أوفده هتلر لإسناد الجيش الايطالي في ليبيا.

كما انها جاءت قبيل إنزال قوات التحالف الأنجلو- أمريكي في المغرب العربي.

في هذا السياق ساهم الفرنسيون – في ظروف أكثر تعقيدا – في إنجاح الإنزال المرجع السابق بوضع قواتهم تحت تصرّف الحلفاء حفاظا على أمل المشاركة في تقاسم النفوذ معهم اثر انتهاء الحرب إن لم يكن على أمل استعادة مكانتهم كاملة. هذا مع العلم أن الساعة كانت ساعة النفوذ الانجلو-أمريكي المتعاظم في منطقتي المغرب و المشرق العربيتين بحكم الدور الفعال الذي لعبته قوات ذلك الحلف في مواجهة الألمان و الايطاليين و حلفائهم من الفيشيين .

إذا قصرنا حديثنا على سوريا و الجزائر، يمكننا أن نستخلص الملاحظات المختصرة التالية: على الرغم من مساهمة «الفرنسيين الأحرار » في عملية اكسبورتر لتحرير سوريا و لبنان من أيدي الفيشيين ، تمثلت واحدة من نتائجها السياسية في إحداث نوع من التقارب بين الحركة الوطنية السورية وبريطانيا و سادت فكرة مفادها بأن بريطانيا هي صاحبة الفضل فيما تحقق في الميدان وهي الضامن للاستقلال المصرح به قبيل بداية العملية . و قد ترك ذلك شعورا سيئا لدى الفرنسيين وساهم في زرع بذور الشك من نوايا بريطانيا و الخوف من إمكانية استخلافها فرنسا في الشام . لاسيما و أنه لم يكن « لأحرار فرنسا » القول الفصل في معاهدة عكا. كل هذه الحيثيات المتراكمة هي التي تفسّر دخول المشرق العربي في

صراع محموم بين الفرنسيين و البريطانيين -كما سنرى لاحقا- بعد أن أنهت عملية" اكسبورتر"نفوذ المحور فيه بشكل مبكر.

كان على الجميع عدم إغفال انخراط الولايات المتحدة الأمريكية في مجريات الأحداث . تجدر الإشارة إلى أن دور الولايات المتحدة الأمريكية في وقائع الصراع في سوريا و لبنان كان محدودا جدا واقتصر في البداية على القيام بدور الوسيط بين بريطانيا و «الفرنسيين الأحرار» من جهة و قوات فيشي في سوريا و لبنان من جهة ثانية . ولم يتجاوز عتبة المواقف السياسية الحذرة و ذلك لاعتبارات عديدة في مقدمتها دخولها العسكري المتأخر في الحرب (بدءا من ديسمبر 1941) و سريان المعاهدة الثنائية بينها وبين فرنسا ألا و هي معاهدة 4 افريل/نيسان 1924 حتى ذلك الوقت ، والتي تضمن المصالح الأمريكية في المنطقة[1] وهناك كذلك ارتياح الأمريكيين للأداء و الوزن البريطاني في الشرق العربي. وبحكم علاقة التحالف الوطيدة التي تربطهم مع بريطانيا لم يتدخل هؤلاء الأمريكيون مباشرة في مجريات الأحداث.

تطوّر موقف الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك ليصبح أكثر وضوحا وتحيزا خاصة بعد تشرين الثاني/نوفمبر 1943، عندما أقدمت فرنسا بأمر من المفوض السامي جان هيللو على اعتقال الرئيس اللبناني و طاقمه. فقد صرح وزير الخارجية الأمريكي كوردل هول عندئذ:

[1] نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص 197.

« ما لهؤلاء الفرنسيين بينما يستعبدهم العدو يحاولون استعباد غيرهم ؟ إن موقفهم سيولد شبهات عظيمة حول مصداقية الأمم المتحدة"»[1] و أبدى تأييده الصريح لرئيس وزراء بريطانيا تشرشل حين وجّه لديغول تهديدا مباشرا على النحو التالي:« في حال عدم إلغاء هذه التدابير سألغي اعترافي بلجنة التحرير الفرنسية و امنع تسليح الفرنسيين في شمال إفريقي»ا[2] ولما ألح الفرنسيون في محادثاتهم مع السوريين في شهر أوت/ اغسطس 1944 على الوضع المميز لفرنسا في سوريا و لبنان، أعلن الأمريكيون صراحة عن اعتراضهم على هذا المطلب لكن موقفهم العلني من تصريح كاترو و لمبسون عن استقلال سوريا بقي غير واضح رغم المساعي البريطانية لإقناعهم، و اكتفت وزارة الخارجية الأمريكية تبريره باستمرار قيام علاقات دبلوماسية بين حكومة الولايات المتحدة و حكومة فيشي و بخشية أن يؤدي الاعتراف الصريح باستقلال سوريا إلى الإضرار بحقوقها المترتبة عن اتفاقية 1924. كما أوضحت أن ادعاء «الفرنسيين الأحرار » بأن لهم وضعا مميزا في سوريا لا يشجعهم على الإقدام على ذلك الاعتراف فضلا عن اعتقادهم «أن الحكومة القائمة في سوريا ليست نتيجة التعبير عن إرادة الشعب السوري"[3] و بعد التطورات التي عرفتها سوريا خلال عامي

[1]نجاة حسن القصاب، صانعو الجلاء، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1999 ، ص 453.

[2]نفسه .

[3]-محمد رجائي ريان، قضية استقلال سوريا في الحرب العالمية الثانية، دراسة سياسية، دار نور الدين، الأردن، ط1، 2003، ص 256.

1943و1944 والتي استلمت الحكومة المرجع السابقة أثناءها معظم الصلاحيات و المصالح ما عدا «القوات الخاصة»، قررت الولايات المتحدة الأمريكية الاعتراف باستقلال سوريا يوم7 سبتمبر/ايلول1944 على أساس انه اعتراف دون قيد أو شرط عليها مع التمثيل الدبلوماسي المتبادل لكنها في المقابل « اشترطت من سوريا تأكيدا مكتوبا بان حقوقها وحقوق مواطنيها في سوريا لن تمس» [1]

و على اثر ذلك تم تعيين المستر جورج وادسورث أول وزير مفوض أمريكي في سوريا و لبنان.وللتأكيد على أهمية الاعتراف الأمريكي باستقلال سوريا ولبنان نزل المايجر جنرال جايلز قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط في مطار بيروت يوم 29سبتمبر / ايلول1944 .

كما سبق و أن قدّم الأمريكيون خطة عمل في الشرق الأدنى لتهيئة ظروف انتصار الحلفاء و إيجاد تعاون مثمر مع شعوب المنطقة في هذا الاتجاه. غير أن البريطانيين تحفظوا تجاه تلك الخطة خوفا من تنامي النفوذ الأمريكي في المنطقة ، في حين لم يول الأمريكيون أي اهتمام للفرنسيين في ذات الموضوع و هو ما أشعر الفرنسيون بمزيد من الخيبة و المرارة وزاد في نفس الوقت من توتر العلاقات الانجلو- فرنسية.

[1]-محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 263.

2-1- أ- الصراع الفرنسي- البريطاني في سوريا .

إن التنافس الفرنسي- البريطاني لم يكن جديدا أو مقتصرا على منطقة من العالم دون أخرى. فالشواهد التاريخية العديدة تؤكد قدم هذا التنافس وحتى النزاع سواء على ارض القارة الأوروبية أو خارجها . و مع ذلك يبقى صراع هذين الطرفين في المشرق العربي عامة و في سوريا خاصة من الأمور الأكثر تعقيدا[1] بالنسبة للمؤرخين نظرا لما صاحبه من ملابسات و رهانات معـــلنة و غير معلنة و دسائس ظاهرة و خفية حركتها مصالح الأطراف المعنية به بحكم أهمية المنطقة الجيو-ستراتيجـــية و الاقتـــصادية و الحضارية.

مر الصراع الفرنسي- البريطاني في سوريا إبان الحرب العالمية الثانية بثلاث مراحل نوجزها في السطور التالية:

المرحلة الأولى: 1940- 1941

على اثر هزيمة فرنسا على أيدي القوات الألمانية، في جوان /حزيران 1940، وقعت سوريا كغيرها من المستعمرات الفرنسية تحت سلطة حكومة فيشي الموالية للألمان كما سبق ذكره و فسح المجال أمام الدعاية المحورية في المنطقة، و وضعت أراضيها في خدمة القوات الألمانية و الايطالية . لذا اتفق البريطانيون مع «أحرار فرنسا » بقيادة الجنرال شارل ديغول على تنظيم حملة مشتركة قصد افتكاك سوريا من الفيشيين و هي التي ترجمتها العملية العسكرية " اكسبورتر" التي أوردنا حيثياتها في الفصل

[1] انظر الملحق رقم (13) ص 174

الأول. و على الرغم من نجاح العملية في تحقيق أهدافها العسكرية إلا أنها عرفت الكثير من الملابسات و أفرزت معطيات جديدة ما لبثت أن ألقت بظلالها على العلاقات الفرنسية-البريطانية. لقد نصبت بريطانيا نفسها مفاوضا رئيسيا للفيشيين خلال مرحلة إنهاء القتال و التوصل إلى معاهدة عكا 14 جويلية/تموز1941.مما يعني أن «أحرار فرنسا» لم يكن لهم أي اعتبار لا عسكريا و لا سياسيا قي المسألة بالرغم من محاولة تشرشل طمأنتهم عندما صرّح قائلا: « نحن لا نبحث عن أي فائدة في سوريا، هدفنا الوحيد كسب الحرب، و نحن نرغب في تحرير البلاد من الألمان و مصالح فرنسا الحرة التاريخية في سوريا معترف بها لفرنسا مع تحقيق الاستقلال للشعب السوري»[1].

كما عمل هذان الطرفان عن تتويج المراسلات بين وزير الدولة البريطاني في مصر أوليفر ليتلتون والجنرال شارل ديغول حول العلاقات بين الدولتين و« انتهت بإبرام اتفاق يوم 23جويلية/تموز 1941 سمّي «اتفاق ديغول- ليتلتون» واعتبر بمثابة «اتفاق تأويلي» لاتفاقية عكا يكون للفرنسيين بمقتضاه الحق في :

- «استخدام الأسلحة و العتاد الذي هو " ملك لفرنسا " مع مراعاة شرط وضع ما لا تستطيع القوات الحرة استخدامه " في مستقبل قريب" تحت تصرف القيادة البريطانية (البند الرابع).

[1] محمد رجائي ريان ، المرجع السابق، ص 227 .

- وضـــع قـــوات الليفانت[1] الخـــاصة تحت إشراف فرنسا الحرة (البند السابع) »[2]

ومع ذلك استمر التوتر يميّز تلك العلاقات الثنائية بحكم الوضع الجديد الذي أفرزه تحرير سوريا من أيدي الفيشيين . ففي الوقت الذي كانت فيه البلاد بأيدي الفرنسيين من الناحية السياسية المدنية كانت الأمور العسكرية فيها في يد بريطانيا المتفوقة عتادا وتعدادا وقيادة. بل كانت الأمور الاقتصادية والمالية أيضا في طريقها إلى أن تصبح بأيدي البريطانيين إذ أدخلت سوريا في منطقة الإسترليني.في ظل هذه المتغيرات كان الفرنسيون يعملون بكل قواهم لإظهار فرنسا بصورة المتحكم في زمام الأمور ولتحجيم الدور البريطاني متحججين بوجود تعهدين هما: بيان كاترو حول استقلال سوريا واتفاق ديغول- ليتلتون الذي يضمن الموقع المميز لفرنسا مع احترام استقلال سوريا. وبمعنى آخر كان الطرف الفرنسي و الطرف البريطاني معا يخاتلان من اجل المحافظة على صداقة الأنظمة الموجودة في سوريا ولبنان و غيرهما لاعتبارات إستراتيجية آنية أو بعيدة المدى، منها ما يتـــعلّق بالمـــشرق العربـــي و أخرى تتعلق بأوروبا تتقدّمها بطبيعة الحال أولويات الحرب ضد النازية والفاشية.

[1]الاسم الذي يطلقه الفرنسيون على الشرق الأدنى = (Le Levant)

[2] أحمد رضوان شرف الدين، جامعة الدول العربية و قضايا تحرير المغرب العربي 1945-1962، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1983، ص 27.

المرحلة الثانية: 1942- 1943.

ازدادت العلاقات بين تنظيم «القوات الفرنسية الحرة» وممثلي بريطانيا توترا خلال عامي 1942 و 1943 و قد كان لتدخلات القائد البريطاني ميتلاند ولسون والوزير المفوض في القاهرة ريتشارد كاسي نصيبا وافرا في رفع درجة التوتر ولكن اكبر مزعج في نظر الفرنسيين هو الجنرال ادوارد سبيرس الذي عينه الملك جورج الخامس وزيرا مفوضا في سوريا ولبنان في فيفري سنة 1942 لأنه نجح إلى حد كبير في تدعيم مركز بريطانيا ونفوذها في المنطقة.و بفضل نشاطاته و علاقاته مع الجيش و المخابرات و رجال السلك الدبلوماسي البريطاني و مع الكتلة الوطنية.

وإلى جانب الدور الذي أداه هؤلاء المسئولون البريطانيون لإحراج الديغوليين و التضييق عليهم خدمة لمصالح الحكومة البريطانية أثارت مسألة أخرى خلافا بين الطرفين وهي مسألة الانتخابات في سوريا خلال سنة 1942 . ففي الوقت الذي كانت ترى فيه بريطانيا أن إجراء الانتخابات سيؤدي إلى وصول الوطنيين إلى الحكم وبالتالي إلى تحقيق الهدوء والاستقرار كان الطرف الفرنسي بالمقابل يدرك أن نجاح الوطنيين في الانتخابات سيضعف من مركزه الضعيف أصلا لصالح بريطانيا. فمتحجج حينا بضرورات الحرب وأحيانا بأن الظروف الداخلية في سوريا لم تنضج بعد لتأجيل الانتخابات. وقد ضاق ديغول ذرعا بالإلحاح البريطاني على إجرائها حتى خاطب الوزير المفوض البريطاني ريتشارد كاسي بلهجة عنيفة: «ما شأنكم والانتخابات عليكم أن تهتموا بصد

الجنرال رومل الذي اشرف على الإسكندرية»[1]، و لم يتراجع الفرنسيون عن موقفهم هذا إلا بعد دحر قوات المحور خارج شمال إفريقيا في أواخر سنة 1942 أي بعد أن استرجعوا سلطتهم الرسمية على بلاد المغرب العربي التي كانت خاضعة لهم قبل هزيمة 1940.فأصدرت (اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني) بمقرها في مدينة الجزائر تعليماتها لكاترو بإعادة الدستور وإجراء انتخابات عامة في السنة الموالية أي سنة 1943. وبالفعل أجريت الانتخابات المقررة في صائفة 1943 وفازت فيها الكتلة الوطنية فوزا ساحقا وانتخب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية السورية .

المرحلة الثالثة: 1943- 1945.

في هذه المرحلة تمحور الخلاف الفرنسي- البريطاني حول مسألتين : أما المسألة الأولى فكانت تتعلق بالبحث عن الصيغة المثالية لإيجاد تسوية تحدد العلاقة الفرنسية- السورية و تجدر الإشارة هنا إلى أن وثائق الأرشيف الفرنسي المفرج عنها مؤخرا[2] تشير إلى أن الفرنسيين تحصلوا على معلومات ومراسلات سرية بين حكام سوريا و بعض البلدان العربية و السفارات الأجنبية تؤكد التواطؤ و التآمر البريطاني السوري ضد فرنسا ، وان بريطانيا كانت تزعم وتصرّح بأنها تلعب دور الوسيط لإيجاد تسوية مناسبة

[1] نجيب الارمنازي ، المصدر السابق، ص 137 .

[2]http://www.planetenonviolence.org/Comment-De-Gaulle-a-Sabote-le-Plan-Britannique-de-la-Grande-Syrie-et-Favorise-la-Creation-de-l-Entite-Sioniste_a1474.html.visité le 15mai2010 à 21h54mn.

للأزمة بين سوريا وفرنسا إلا أنها في الواقع كانت تدعم النظام السوري و تسعى للتعاقد معه لتحقيق مصالحها في المنطقة. و أما المسألة الثانية فكانت تتعلق كذلك بمسألة اعتراض فرنسا على تسليح بريطانيا للدرك السوري الخاضع للحكومة الوطنية السورية واعتبرته فرنسا تهديدا مباشرا لها وإضعافا لمركزها هناك بينما تراه بريطانيا مجرد إجراء وقائي من أجل الأمن العسكري وضمان الهدوء و الاستقرار في البلاد.

بالإضافة إلى ما سبق عاد وجود الجنرال البريطاني إدوارد سبيرس في المفوضية البريطانية في بيروت مرة أخرى إلى صدارة العوامل التي كانت تؤجج الخلاف السياسي بين فرنسا وبريطانيا نظرا لسعة دائرة اتصاله ولما له من قدرة على التأثير في ساحة الأحداث وخاصة لما اكتشف ديغول الواقعة التالية: في 5 أوت /أغسطس 1945 قام سبيرس بإرسال رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح إلى دمشق للاتصال برئيس الحكومة السورية سعدالله الجابري (وهو صهر رياض الصلح) ليقدّم له المقترحات البريطانية التالية :

- العمل من اجل توحيد سوريا و شرق الأردن وفلسطين لتأسيس «سوريا الكبرى».

- منح بريطانيا مقام مميز في المجالات العسكرية و الاقتصادية والثقافية وعدم توقيع أي اتفاق مع أي دولة أجنبية دون استشارتها. مقابل ذلك تلتزم بريطانيا بـ:

- حماية استقلال سوريا و الدفاع عنها ضد أي عدوان خارجي.

- مواصلة سياسة "الكتاب الأبيض"[1] في فلسطين و السعي لوضع حد نهائي للأطماع الصهيونية فيها.[2]

مما لاشك فيه إن تنفيذ بريطانيا لهذه الالتزامات يتطلب أولا طرد الفرنسيين من سوريا و لبنان ثم تنصيب عبدالله بن الحسين على إمارة شرق الأردن وأخيرا القيام بخرق التزاماتها مع الحركة الصهيونية.

بسبب الاحتجاجات الفرنسية اضطرت بريطانيا إلى سحب الجنرال سبيرس وعينت المستر تيرانس شون مكانه. وقد بدا للفرنسيين أنهم قد نجحوا في الضغط على بريطانيا، كما اعتبر بعض السوريين إبعاد سبيرس بمثابة إشارة خضراء لفرنسا وبداية

[1]في الواقع هناك ثلاث كتب بيضاء صدرت عن شخصيات حكومية بريطانية حول مسألة الهجرة اليهودية و بيع الأراضي العربية للمهاجرين اليهود و الذي يهمنا هنا هو الكتاب الأبيض الثالث الصادر يوم 17ماي /ايار1939 والذي يعرف أيضاً بكتاب مكدونالد الأبيض نسبة إلى وزير المستعمرات البريطاني مالكوم ماكدونالد ، ويتضمن التخلي عن فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى فلسطينية، لصالح تأسيس دولة فلسطينية مستقلة تكون محكومة من قبل العرب الفلسطينيين واليهود بناء على نسبة كل منهما لإجمالي سكان فلسطين. وفيها أيضا تم تحديد عدد اليهود المسموح لهم بالهجرة إلى فلسطين في السنوات الخمس اللاحقة لصدور الكتاب ب 75000 ألفاً (1940-1944) بحيث يتم قبول هجرة 10000 يهودي سنوياً ويتم زيادة هذا العدد ليصل إلى 25000 سنوياً. وبعد سنة 1944، تصبح هجرة اليهود مقرونة بموافقة الأغلبية العربية الموجودة في فلسطين. كما كان هذا الكتاب يفرض قيود على حقوق اليهود في شراء الأراضي من العرب في مناطق فلسطينية محددة. انظر

http://fr.wikipedia.org/wiki/Livre_blanc_(Palestine):

[2]http://www.planetenonviolence.org/Comment-De-Gaulle-a-Sabote-le-Plan-Britannique-de-la-Grande-Syrie-et-Favorise-la-Creation-de-l-Entite-Sioniste_a1474.html.visité le 15mai2010 à 21h54mn.

تخلي بريطانيا عن التزاماتها تجاه سوريا .إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك . إن مجئ شون بدل سبيرس لم يغير شيئا في السياسة البريطانية.

ولما تغيرت معطيات الحرب في أوروبا وتسلمت «حكومة فرنسا الحرة » العاصمة باريس قويت شوكة الديغوليين وحاولوا الضغط على الحكومة السورية والتلويح باستخدام القوة وهم يعلمون تماما أن الحركة الوطنية السورية تعتمد كثيرا على الدعم البريطاني . وبالفعل توجهت ثلاث كتائب عسكرية من شمال إفريقيا على متن سفينتين عسكريتين نحو ميناء بيروت في افريل1945. وأثار قدومها مخاوف السوريين واللبنانيين على سيادة دولتيهم. كما احتجت بريطانيا على ذلك على لسان وزيرها المفوض في مصر وسفيرها في باريس مشيرة إلى أن الزيادة في حجم القوات العسكرية في الشرق الأوسط هي من صلاحيات القائد العسكري البريطاني لأنه هو الذي يتولى القيادة العامة لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط . وعلى الرغم من الاحتجاجات السورية و اللبنانية و التحذيرات البريطانية إلا أن فرنسا استمرت في تعزيز قواتها هناك ، تلك القوات التي أمعنت في ترهيب السوريين و استفزازهم ثم صبت غضبها عليهم في أبشع عدوان عسكري عرفته سوريا في تاريخها – كما سنرى لاحقا - و هو العدوان الذي لم يتوقف إلا بفضل صمود الشعب السوري المسنود عربيا رسميا من قبل جامعة الدول العربية و بعد التدخل العسكري البريطاني المزكّى من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

حصل هذا التدخل، حسب الوثائق الفرنسية المشار إليها سابق ، على خلفية اتفاق عاجل بين شكري القوتلي و البريطانيين – أثناء العدوان الفرنسي - سبقته سبع مراسلات(5 من القوتلي و 2 من شون) ، في المراسلات الخمس الأولى يقسم الرئيس السوري بشرفه وباسمه الخاص، وباسم الشعب السوري أن:

- يعمل من اجل إنجاح مشروع "سوريا الكبرى".
- يمنح لبريطانيا تنازلات بشأن استغلال البترول السوري .
- يعطي لبريطانيا مقام ممتاز سياسيا و اقتصاديا وماليا.
- يعتمد سياسة خارجية لا تتعارض مع السياسة البريطانية.
- يمنـــح لبريطـــانيا دورا أساسيا في إنشـــاء الجيش السوري و تســـليحه.[1]

وبدأت بعد ذلك حرب التصريحات الصحفية بين الفرنسيين و البريطانيين . فاعتبر الفرنسيون أنفسهم ضحايا الغدر البريطاني الداعم للوطنيين السوريين عسكريا و سياسيا ، بتاريخ 4 جوان/ حزيران 1945 صرّح ديغول للسفـــير البريطـــاني داف كوبـــر قائلا: " اعترف لك بأننا لم نكن في وضع يسمح لنا بالدخول في مواجهة معكم و سوف لن أنسى أبدا بأنكم أهنتم فرنسا و خنتم الغرب كلّه." [2] و قد سجّل كوبر في يومياته " كان الرجل – أي

[1] http://www.planetenonviolence.org/Comment-De-Gaulle-a-Sabote-le-Plan-Britannique-de-la-Grande-Syrie-et-Favorise-la-Creation-de-l-Entite-Sioniste_a1474.html.visité le 15mai2010 à 21h54mn.

[2] http://www.planetenonviolence.org ,Opcit.

ديغول- مقتنع تماما أن كل ما جرى هو مسرحية أخرجها البريطانيون لتحقيق غرضهم الأساسي ألا وهو إقصاء فرنسا من بلاد الليفانت، لأن فرنسا هي العائق الأساسي أمام المشروع البريطاني:"سوريا الكبرى"، بالإضافة إلى رغبة بريطانيا في إزاحة ديغول من قيادة حكومة فرنسا المؤقتة.

أما البريطانيون فقد برروا تدخلهم بأنه جاء وفاء لالتزاماتهم السابقة مع السوريين و الفرنسيين – أي تصريح كاترو و اتفاق ديجول-ليتلتون– وكذلك وفاءا لنص ميثاق الأطلسي و حفاظا على الأمن و الهدوء في الشرق الأوسط كون الحرب لم تنته بعد، و كذلك لأن السياسة العدوانية الفرنسية تجاه الشعب السوري هي السبب في كل ما حدث، ومحاولة الفرنسيون تحميل البريطانيون مسؤلية الأزمة وهو حسبهم من قبيل الامراض النفسية البارانويا[1] و الانجلوفوبيا[2]المستشرية في عقول الفرنسيين[3]. ومهما كانت المبررات و النوايا فقد استفاد من هذا النزاع الاستعماري الأوربي الشعبان السوري واللبناني الشقيقان اللذان نالا استقلالهما دون التقيد بأي معاهدة كما سنرى لاحقا.

[1]هي حالة مرضية يتميز فيها المصاب بالهذيان و الأوهام و الارتياب في الآخر مصحوبة بشعور العظمة والاضطهاد معا.

[2]الانجلوفوبيا هي حالة خوف وعدم ارتياح دائم لكل ما هو انجليزي يترتب عنها كره ومعاداة للبريطانيين.

[3]http://www.planetenonviolence.org/Comment-De-Gaulle-a-Sabote-le-Plan-Britannique-de-la-Grande-Syrie-et-Favorise-la-Creation-de-l-Entite-Sioniste_a1474.html.visité le 15mai2010 à 21h54mn.

2-1- ب - الصراع الفرنسي- البريطاني في الجزائر.

أما فيما يتعلق بالتنافس و الصراع الفرنسي– بريطاني في الجزائر فهو كذلك ليس بالأمر الجديد وحتى لا نعود ونذهب بعيدا إلى الوراء يكفي القول أن بريطانيا كانت الدولة الأوربية الوحيدة التي اعترضت على الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830، وبالطبع لم يكن ذلك حبا وعطفا على الجزائريين وإنما رغبة في استمالتهم واستخلاف فرنسا في شمال إفريقيا، وتبقى عيون بريطانيا تراقب ما يجري في الحوض الغربي من المتوسط من خلال قاعدتيها البحريتين في مالطة و جبل طارق ويبدأ التصادم الانجلو- فرنسي بعملية " المنجنيق" السالفة الذكر، بحجة محاربة المحور ، والتي كلفت الفرنسيين غاليا في الأرواح والعتاد البحري، وتسوء العلاقات أكثر مع الفيشيين في الجزائر بسبب التدخلات البريطانية والأمريكية أثناء التحضير لعملية "تورش" و بعد نجاحها نظرا لما تخللها من عمليات اختراق و ضغوط واستمالة التحالف لمجموعة من الضباط الفرنسيين السامين، و كذلك بسبب الانحياز الانجلو- أمريكي للجنرال جيرو على حساب شارل ديغول ، وتتعفن العلاقات أكثر بسبب القنوات المفتوحة بين ممثلي التحالف في الجزائر(ماكميلان البريطاني ومورفي الأمريكي) مع العناصر الوطنية التي أصبحت تعلّق آمالا كبيرة وواعدة في الخلاص على أيديهم، في مدينة البليدة كوّن بعض طلبة الثانوي نوادي اهتمت بتعلّم اللغة الانجليزية، منهم أمحمد يزيد ومصطفى الاشرف وعبان رمضان وسعد دحلب و بن يوسف بن خدة و غيرهم وبالطبع كان أكثرهم

تقرّبا واتصالا مع البريطانيين والأمريكيين فرحات عباس الذي وضع صورة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في الواجهة داخلية لصيدليته[1] . هذا الاتصال و التقارب اعتبرته فرنسا تدخلا سافرا في شؤونها " الداخلية" ومعاملة مريبة تخفي وراءها نوايا سيئة من شأنها تهديد الوجود الفرنسي في الجزائر، ولم تعرف العلاقات الفرانكو-بريطانية استقرارا محسوسا إلا بعد تولي شارل ديغول قيادة لجنة التحرير الفرنسية و التفاف اغلب القيادات حوله وذلك بعد طرد قوات المحور من تونس وبداية حملة ايطاليا ثم تحرير فرنسا نهائيا في أوت .1945

2-2- تطور مواقف الحركة الوطنية في الجزائر وسوريا.

2-2- أ – البيان الجزائري (فيفري 1943)وتداعياته.

غادر جورج كاترو المفوضية العامة في بيروت ، ليتوجه إلى الجزائر كمكلف بإدارة الشؤون الإسلامية ثم كحاكم عامقبل أن يصبح وزير شمال إفريقيا في 9 سمبتمبر/ايلول 1944،إنه عين هناك على خلفية نجاح عملية " تورش" في طرد قوات المحور من شمال إفريقيا وتوحيد صفوف الفرنسيين والتفافهم حول شخصية الجنرال شارل ديغول.

لما حل كاترو بالجزائر كانت النخبة السياسية الجزائرية تعمل جاهدة للاستفادة من الصراع «الفرانكو- فرنسي» (الأحرار/فيشي، ديغول/جيرو) وخاصة في ظل التواجد الانجلو- أمريكي. لقد اتصل فرحات عباس بالممثل الأمريكي مورفي والبريطاني ماكميلان ووجّهّ

[1]G.Meynier, op.cit., 61-62.

إليهما يوم 22ديسمبر 1942 مذكرة بعنوان "رسالة من ممثلي المسلمين الجزائريين إلى السلطات المسؤولة" سرعان ما تحوّل عنوانها بعد الاحتجاج الفرنسي لتوجّه إلى "السلطات الفرنسية " وقّع عليها ممثلو الولايات الجزائرية الثلاث (الجزائر و قسنطينة و وهران) وسلمت نسخ منها إلى ممثلي الولايات المتحدة و المملكة المتحدة والحكومة العامة الفرنسية في الجزائر. ومما جاء في هذه الرسالة أنه مقابل مشاركة الجزائريين في الحرب إلى جانب الحلفاء ينبغي عقد مؤتمر وطني «يسفر عن دستور سياسي واقتصادي واجتماعي جديد للجزائر كما ورد فيها إبداء استعداد الجزائريين للوقوف بكل قواهم وتضحياتهم إلى جانب قوى التحالف التي تؤدي للتحرر وتضمن حقوق وحريات كل الجزائريين».[1]

رفضت كل السلطات القائمة استقبال المذكرة ، الحلفاء بحجة أمريكية أن المسألة فرنسية داخلية وبحجة فرنسية أنها تجرأت على تجاوزهم واعتبرت الحلفاء شركاء لهم في حكم الجزائر ، وان الوقت للتعبئة للحرب وليس لمناقشة الأمور السياسية. هدد الجنرال جيرو ممثلي الجزائريين الذين حاولوا الدفاع عن تلك الوثيقة «بوضعهم في السجن إذا لم يوقفوا تحركهم»[2]

لقد بدا واضحا أنه بالرغم من تأثر السمعة الفرنسية جراء الاحتلال النازي لبلادهم الأم وسيطرة الحلفاء على الجزائر وباقي

[1] ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص 201- 203 .

[2]A.Nouschi, La Naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, les Editions de Minuit, paris, 1962, p. 132-133.

المغرب العربي وبالرغم من انقسام الفرنسيين إلى أنصار حكومة فيشي وحكومة فرنسا الحرة وبين موالين لقيادة ديغول وموالين لقيادة جيرو كان الجميع متفقا على بقاء الجزائر تحت السيطرة الفرنسية وان لا ينال أهلها أية حقوق سياسية .

بالرغم من ذلك، استمر فرحات عباس في مشاوراته مع عناصر النخبة السياسية الجزائرية ولاسيما مع النواب والعلماء وحزب الشعب. كما واصل اتصالاته مع السلطات الحاكمة في الجزائر حتى طرح وثيقة مطلبية معدّلة بعنوان "البيان الجزائري، الجزائر أمام الصراع العالمي "وذلك بتاريخ 10فيفري 1943. وقد احتوى البيان المرجع السابق على خمسة أقسام تعرّض فيها أصحابه إلى الوضع بالجزائر ، منذ وصول الحلفاء ، والى أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب، والى الاستعمار الفرنسي و نتائجه منذ 1830 و أهمية إنزال قوات الحلفاء بالجزائر .أما القسم الخامس فتضمن مطالب الجزائريين المختلفة و أبرزها ما يلي:

« أ) استنكار الاستعمار وإزالته(....)

ب) تطبيق مبدأ تقرير المصير على جميع البلدان سواء كانت صغيرة أو كبيرة.

ج) منح الجزائر دستورها الخاص الذي يضمن:

1- الحرية والمساواة المطلقة لجميع السكان بغض النظر عن العرق والدين .

2- إنهاء الملكية الإقطاعية الكبرى عن طريق إصلاح زراعي واسع النطاق (...)

3-الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية.

4-حرية الصحافة وحق التنظيم والتجمّع .

5- إجبارية ومجانية التعليم للأطفال من الجنسين .

6- حرية العبادة لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على كل الأديان.

د) المشاركة الفورية والفعلية للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم اقتداء بما فعلت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية و الجنرال كاترو في سوريا (...) .

ه) إطلاق سراح كل المحكوم عليهم و المساجين السياسيين من جميع الأحزاب.

إن اعتماد و تحقيق هذه النقاط الخمس سيضمنان انضمام الجزائر المسلمة بلا تحفّظ و بكل إخلاص إلى الصراع من اجل نصرة الحق و الحرية».[1]

[1]cf.Memoire remis le 31 mars 1943 à Monsieur le Gouverneur général(...) Manifeste du peuple Algérien, in C.Collot, J.Robert Henri, le Mouvement national Algérien, textes1912-1954, l'Harmattan (paris)-OPU(Alger), 1978, p.155-164.

-T. Opperman , Le problème Algérien, François Maspero, paris, 1961, p71 ; A.Nouschi ,opcit , p.135.

وقد أكّد المؤرخون المختصون على أن هذا البيان كان يستند بكل وضوح إلى مبدأ حق تقرير المصير الذي حملت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لواء الدفاع عنه - رسميا– من خلال نقاط رئيسها ولسون الأربعة عشر (المبدأ الخامس) أثناء الحرب العالمية الأولى وميثاق الأطلسي عام 1941. وكان ذلك يعني مطالبة ممثلي الرئيس روزفلت في الجزائر بالوفاء بذلك الالتزام الدولي. غير أن البيان كان يعكس أيضا التطور الذي حصل على الساحة السياسية الداخلية في الجزائر منذ أن عقد المؤتمر الإسلامي: انه يبرز القطيعة التي حدثت على مستوى التنظيمات التي كانت تطالب سابقا بالاندماج، وعلى رأسها جماعة فرحات عباس. وقد تم تسليم البيان يوم31 مارس/اذار 1943 إلى الحاكم العام الفرنسي مارسال بيروتون الذي وعد بدراسته واعتماده كأرضية إصلاحات مستقبلية وبناء عليه تم تأسيس لجنة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية الإسلامية يوم 03أفريل/نيسان الموالي والتي لم تجتمع إلا يوم 14افريل . أما مداولاتها فلم تنته إلا يوم 26 ماي، وهو اليوم الذي تم فيه صياغة ملحق للبيان بناء على طلب من الحاكم العام سُلّم لشارل ديغول يوم 10جوان وللحاكم العام جورج كاترو يوم 11 من نفس الشهر.

عموما يحدد الملحق الإصلاحات التي يمكن تأجيلها إلى ما بعد الحرب كقيام دولة جزائرية لها دستورها الخاص والإصلاحات التي يجب تحقيقها بشكل فوري كتحويل الولاية العامة الى حكومة جزائرية توزع الوزارات فيها بالتساوي بين الجزائريين و الفرنسيين

و التمثيل المتساوي بينهما في جميع المجالس الجزائرية و المساواة في الوظائف العمومية ونظام التجنيد والخدمة العسكرية وتكريس الحريات العامة للجميع» .[1]

وبعد شهر من تقديم الملحق أي يوم 26جوان/ حزيران تمت الموافقة عليه ، وإن كانت موافقة تكتيكية بسبب ظروف الحرب وتواجد قوات التحالف الأمريكي-البريطاني على أرض الجزائر. لقد كان الفرنسيون على حد تعبير أحد كبار المستوطنين يرون: « ما لا يجب ضياعه هو ماء الوجه، وما يجب كسبه هو الوقت» [2]

لذا لم يجر في الميدان أي تطبيق فعلي لما جاء في البيان وملحقه. وحتى الجنرال كاترو الذي عرف بليونته وتسامحه لم يتحقق شيء على يديه ، بل نجده قد وقف ضد طموحات الجزائريين وبدا أنه من أنصار الجزائر الفرنسية وغير مستعد لمناقشة المسائل السياسية. كما هدد بسجن العناصر الوطنية ووصف حركة أحباب البيان " بعاصفة التحرر التي هبت من المشرق ومن وراء الأطلس فوق شمال إفريقيا " وأنه "من الحكمة وقف هذه العاصفة"، موضحا في أكثر من مناسبة أن كل المحاولات التي لا ترمي إلى الإبقاء على "الوحدة الكاملة بين الجزائر وفرنسا سيكون مآلها الرفض "لأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا".[3]

---

[1]C.Collot, J.R.Henry, Document remis au général Catroux le 11 juin 1943(...) Projet de réformes faisant suite au Manifeste..,op.cit, p.165-170.

[2] « ce qu'il ne faut pas perdre c'est la face, ce qu'il faut gagner c'est le temps » citation in A. Nouschi ,opcit ,note(1),p.135..

[3] ابو القاسم، سعدالله، المرجع السابق، ص 210.

ولما رفض الممثلون الجزائريون حضور جلسة الوفود المالية يوم 22سبتمبر إذا لم يراع محتوى البيان قام كاتـــرو بحـــل المـجلس و اعتقل فرحات عباس وعبد القادر السائح وتم نفيهما إلى جنوب إقليم وهران .وقد أدى ذلك إلى تخاذل بعض الموقّعين على البيان (وعددهم12) اذ تراجعوا واتصلوا بالحاكم العام وعبّروا له عن اعتذارهم وأكدّوا له ولاءهم لفرنسا . ثم قام كاترو يوم 14نوفمبر بتكوين لجنة لدراسة إصلاحات تخص المسلمين قوامها 16عضوا : 6 مسلمون، 6 فرنسيون، 4 موظفون فرنسيون[2] .واعتمدت تلك اللجنة على أوامر جورج كاترو وتوصيات أوغستين بيرك وخطبة شارل ديغول في مدينة قسنطينة وذلك بتاريخ يوم 12 ديسمبر /كانون الاول 1943والتي تضمنت النقاط التالية:

- المنح الفوري للجنسية الفرنسية لعدة الآلاف من الجزائريين دون اشتراط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، كما كان مطلوبا في الماضي.
- زيادة نسبة عدد الممثلين الجزائريين في المجالس المحلية.
- الاحتفاظ بعدد من الوظائف الإدارية لعدد من الجزائريين الذين تتوفر فيهم الكفاءة .[1].

يتضح من هذه الخطبة أن شارل ديغول لم يستوعب التطور الحاصل في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية التي تجاوز سقف مطالبها هذه الإصلاحات الشكلية التي سبق و أن طرحها الأمير خالد

[1]A.Nouschi , opcit , p. 138.

[2]ابو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 213-214.

وتضمنها مشروع بلوم فيوليت و ناقشها المؤتمر الإسلامي الجزائري.

في نفس السياق استثمرت لجنة الإصلاحات المرجع السابقة ما جاء في تصريحات شارل ديغول خلال مؤتمر برازافيل في جانفي/يناير 1944 التي أعلن فيها أن هدف السياسة الفرنسية هو جعل الشعوب المستعمرة تحكم نفسها بنفسها ولكنه حذّر في نفس الوقت أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال الانفصال عن فرنسا.

إذن بناء على كل هذه المعطيات شرعت لجنة الإصلاحات في عملها و أصدرت أمرية 7مارس 1944 التي تضمنت سبع بنود هي :

1- المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق والواجبات .

2- المساواة أمام القانون للجميع وإلغاء القوانين الاستثنائية.

3- تحديد أصناف الجزائريون الذين سيستفيدون من الجنسية الفرنسية (...).

4- هناك جزائريين آخرين سيحصلون على الجنسية الفرنسية يحددهم المجلس التأسيسي الفرنسي لاحقا.

5- الحق للجميع في الانتخاب والترشح للمجلس الجزائرية دون قيود .

6- استمرار الحكم العسكري المباشر لمنطقة الصحراء .

7- حول كيفيات تطبيق هذا القانون.[1]

يبدو جليا أن هذه الإصلاحات أهملت جوهر المطالب الوطنية الجزائرية في التحرر والاستقلال وكانت تسعى فقط إلى كسب

[1]ابو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص215-216.

المزيد من الوقت وخلط الأوراق . لذا كان مصيرها الرفض من اغلب الجزائريين والدليل على ذلك تشكيل تجمع «أحباب البيان والحرية» يوم 14مارس ، بعد قيام فرحات عباس باستشارة عناصر من حزب الشعب وجمعية العلماء و آخرين . وضعت الحركة نصب أعينها فضح الأعمال والمناورات التي تستهدف بقاء النظام الاستعماري والتأكيد على ما جاء في البيان وملحقه. و استنادا إلى فرحات عباس ازداد الإقبال على الانخراط فيها حتى بلغ "أكثر من 500ألف وثيقة انخراط[1]

ارتبط نشوء حركة أحباب البيان والحرية بنشاط سياسي مكثف ودعاية و اتصالات علنية وسرية بين قادة الحركة الوطنية غايتها تطبيق أهداف البيان وملحقه. وأصبحت الحركة تستقطب أعضاء من كل الشرائح الاجتماعية و التنظيمات الجزائرية، بما فيها حزب الشعب السري وباستثناء الحزب الشيوعي.

ويتفق المؤرخون على القول بأن حركة «أحباب البيان و الحرية » أصبحت شيئا فشيئا تحت توجيه حزب الشعب الجزائري[2]

في نفس الفترة " كثرت المنشورات والصحف والتجمعات السرية و العلنية الداعية إلى الوعي واليقظة والاستعداد للتضحية ومقاطعة الانتخابات والقطيعة مع الاستعمار والمعمرين ، ولاسيما بعد قيام فرنسا يوم 18افريل 1945بنقل مصالي الحاج من سجنه في بوغار إلى قصر الشلالة ثم إلى المنيعة ومنها إلى برازافيل في

[1]ابو القاسم سعدالله، المرجع السابق ، ص226 -229 .

إفريقيا"[1] وقد كان هذا الفعل إثارة وتحدي كبير لمشاعر الجزائريين ساهم في رفع زئبق الاحتقان في وقت كانت فيه الجزائر- كبقية دول العالم - تستعد للاحتفال مع الحلفاء بالانتصار على النازية والفاشية ليتعرض خلاله – أي الاحتفال - الشعب الجزائري إلى عدوان همجي عنيف شكّل محطة تاريخية حاسمة في صيرورة العلاقة بين الشعب الجزائري و الدولة الاستعمارية الفرنسية.

2-2- ب –المفاوضات السورية الفرنسية و مسألة «القوات الخاصة».

أسفرت الانتخابات النيابية في سورية، صيف 1943- كما أسلفنا- عن فوز الكتلة الوطنية؛ وتولّي جيل جديد لقيادتها، فتزعمها شكري القوتلي الذي صار رئيسا للجمهورية و فارس الخوري رئيسا لمجلس النواب . وفي 1943/8/19 كلف سعد الله الجابري بتشكيل الوزارة فكان أعضاؤها: جميل مردم بك للخارجية ولطفي الحفار للداخلية وخالد العظم للمالية ونصوحي البخاري للدفاع الوطني والمعارف، ومظهر أرسلان للأشغال العامة والإعاشة، وعبدالرحمن الكيالي للعدلية، وتوفيق شامية للزراعة والاقتصاد الوطني [2]

[1]- نفسه .

[2]عبد الرحمن البيطار، المرجع السابق، ص 85

بوصول هذه التركيبة الجديدة في القيادة السورية، فكّر الجنرال كاتروفي أن يعيد إلى سورية مجلسها وأوضاعها كما كانت سنة 1936. وقال في ذلك :

" لم أستطع في سورية أن أتفق مع رئيس الوطنيين هاشم الأتاسي ونجمهم الصاعد شكري القوتلي، على أن الرئيس الأتاسي وافق على تأليف حكومة مشتركة وعلى دعوة المجلس النيابي إلى اجتماع قصير وإجراء انتخابات بعد ذلك. وأن تكون العلائق بيننا في أثناء الحرب وفقاً لشروط معاهدة 1936. ولكنه رفض أن يسلمني كتاباً أحتفظ به مكتوماً يوافق فيه على الشروط التي أعلنت بها استقلال سورية .... و لا حاجة إلى القول أن هذه التحفظات من قبل الوطنيين يراد بها أنهم لايودون الارتباط بشيء، فأصبح كل اتفاق معهم لا ينطوي على غير المحذورات. وتوليت عنهم مراعياً حسن الصلات بهم. ولعلي قد أخطأت حينئذ في مجاراتي إياهم في التحفظات التي أبدوها. وربما كان ينبغي علي أن أقبل مثلها من قبل ثمانية عشر شهراً. وهذه نقاط لا يمكن مناقشتها، ومع ذلك فإني أعتقد أن الأشخاص الذين يعرفون تطرف الوطنيين الشرقيين وإصرارهم على تحقيق جميع مطالبهم، يرون أني حينما اتصلت بهاشم الأتاسي ورفاقه في الحزب (الكتلة)، الذين هم أكثر شباباً، كان من العبث السعي لربطهم ببلاد أصابهم الوهن كبلادنا. إن تلك الوطنية لا توافق على تسوية إلا في حالة الضرورة، وتكن في صدورها الدخائل المنطوية على الشبهات، حتى تنتهز فرص الحوادث، وتتخلى عما وافقت عليه في ظروف غير ملائمة. وقد

عرفت ذلك بريطانيا العظمى الظافرة القوية، التي لديها وسائل إقناع وضغط اقتصادي، حينما عجزت أن تحمل العراق على قبول المعاهدة الأخيرة التي عرضتها عليه، كما أنها لم تستطع أفضل من ذلك في محاولة الوصول إلى تسوية مع مصر"[1].

بدأت المفاوضات بين الحكومتين السورية والفرنسيين منذ الثلاثي الأخير من سنة 1943 وطوال سنة 1944 من اجل استلام وتسليم السلطات بين إدارة الانتداب والإدارات السورية الناشئة وقد سلمت جميع المصالح الحكومية للقيادة السورية ما عدا إدارتين اثنتين هما القطعات العسكرية الخاصة وإدارة الأمن العام وحجة فرنسا في ذلك استمرار الحرب ضد المحور و ضمان حد أقصى من الأمن و الهدوء العام في سوريا ، ومن المعلوم أن مثل هذه الإدارات هي ذات طابع سيادي حسّاس ، فبقاؤها تحت سلطة النظام الفرنسي يجعل الاستقلال منقوصا لذا واصلت الحكومة السورية في إلحاحها على لسان وزير خارجيتها جميل مردم بك للتعجيل باستلام هاتين الإدارتين.

كانالمفوض الفرنسي يصرّ دوما ، خلال المفاوضات على أن الانتداب لا يمكن إلغاؤه إلا بمعاهدة، كتلك المبرمة بين بريطانيا وبعض الدول العربية؛ فضلاً عن أنه لا يُلغَى إلا إذا استبدلت عصبة الأمم، التي أقرته، بمنظمة دولية أخرى. وفنّد السوريون الحجج الفرنسية، وذكروا أن الانتداب غير صحيح، منذ البداية؛ لأن أهل

[1]نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص137-138

البلاد، لم يستشاروا فيه.

رفض الجنرال كاترو، التخلي عن «القوات الخاصة»، لأنها السلاح الوحيد المتبقي لفرنسا من أجل الحصول على معاهدة مرضية. وكان هذا الأمر مبعث قلق في سوريا ولبنان. إذ من المؤكد أن الفرنسيين، سيكونون قادرين على التأثير في مسار الأحداث ، ما داموا يسيطرون على القوات الخاصة والأمن العام. وفي موازاة هذا القلق، كان هناك قلق آخر: أن تنسحب القوات البريطانية في نهاية الحرب لتحل محلها قوات فرنسية، الأمر الذي يمكّن فرنسا من أن تفرض على سوريا و لبنان معاهدة تلحق الأذى باستقلالهما.

تواصلت المفاوضات أشهراً بعد ذلك، حتى منتصف 1944. واستمر ربط تسليم القوات الخاصة بتوقيع معاهدة، واستمر في الوقت عينه، رفض السياسيين المحليين قبول أية صلة بين مصير القوات الخاصة وإبرام المعاهدة التي تجنبوا أي التزام بشأنها.

في 9 افريل 1944 تتغير حكومة الكتلة الوطنية - للمرة الرابعة عهد القوتلي و أصبحت على النحو التالي: فارس الخوري للرئاسة، جميل مردم بك للخارجية و الدفاع الوطني، سعيد الغزي للعدلية ووكالة التموين والأوقاف و الإفتاء و نعيم الانطاكي للمالية وصبري العسلي للداخلية و احمـــد الــشراباتي للمعارف ووكــالة الاقتصاد الوطني و يلتحق حسن جبارة للإعاشة و التموين فــي 21 افــريل ، و بقيت رئاسة مجلس النواب لسعدالله الجابري. تغير الطاقم الحكومي ولم تتغير المواقف و المطالب ، فقد استمرت الحكومة الجديدة في

الضغط على فرنسا لاستلام كافة المصالح والصلاحيات مستغلة الدعم البريطاني و الظروف الدولي.

لما زادت عليه الضغوط، استمهل المندوب السامي الجديد بول إيميل باينيت(10 جوان 1944)[1] بعد أن لمشاورة حكومته في الجزائر ، فتوجّه إلى هناك و بعد غياب قارب الشهرين عاد باقتراح عقد معاهدة جديدة تحدد العلاقات بين فرنسا وسوريا لمدة 25 سنة قابلة للتجديد. بطبيعة الحال رفضت الحكومة السورية هذا الاقتراح جملة وتفصيلا على خلفية وجود معاهدة سابقة تحدد هذه العلاقة ألا وهي معاهدة 1936، وقد أدى استمرار ذاك الرفض إلى استمرار فرنسا في المناورة والمماطلة مما زاد في تعكير العلاقات مرة أخرى ، و يزداد التوتر أكثر بعد تحرير باريس و استلام الديغوليين مقاليد الحكم فيها ويدشنون احتفالات نهاية الحرب بمجزرة 8ماي الرهيبة في حق الجزائريين ، فتتجه الأمور في سوريا نحو التعفن ثم الصدام المحتوم.

[1] خلفا لايف شاتينو الذي استدعي للإشراف على الحكومة العامة في الجزائر بعد ترقية جورج كاترو وزيرا لشمال إفريقيا في حكومة شارل ديغول .

الفصل الثالث

العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر و سوريا
في ماي/أيار 1945

3 – 1 انعكاسات نهاية الحرب العالمية العالمية الثانية على الجزائر وسوريا

3 – 2 وقائع العدوان العسكري الفرنسي و حصيلته

3 -2- أ - العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر8 ايار/ماي 1945 وحصيلته

3-2-ب- العـــدوان العســـكري الفرنســـي علـــى ســـوريا 29 ايار/ماي1945 وحصيلته

3 – 3 الموقف الدولي من العدوان العسكري الفرنسي

3 – 4 النتائج السياسية للعدوان

3 – 5 توصـــيف العـــدوان العســـكري الفرنســـي فـي الكتابـــات الجزائرية و السورية

1-3 انعكاسات نهاية الحرب العالمية العالمية الثانية على الجزائر وسوريا.

بعد إنهاء حملة تونس كحلقة أخيرة في عملية "المشعل" السالفة الذكر، نجح الحلفاء في طرد قوات المحور من كافة أراضي المغرب العربي. وبدءوا حملة ايطاليا في صائفة 1943 التي توجت بالإطاحة بالفاشية بعد خوض معارك دامية شاركت فيها أفواج من الرماة الجزائريين والمغاربة مشاركة فعالة سمحت باختراق الخطوط الدفاعية الفاشية، ثم انتقلت العمليات الحربية للحلفاء إلى فرنسا على جبهتين، الأولى انطلاقا من الأراضي الجنوبية، والثانية انطلاقا من الشمال الفرنسي بعد إنزال النورماندي في 6 جوان 1944. ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبّدوها لم ينجح الحلفاء في تحرير أغلب أراضي فرنسا و بلجيكا من الاحتلال النازي بشكل نهائي حتى شهر سبتمبر 1944 لتتوجه بعدها قواتهم نحو برلين في بداية شهر ماي 1945. فأصبحت العاصمة الألمانية بين نيران قوات التحالف البريطاني - الأمريكي "الفرنسي" من الغرب ونيران قوات الجيش الأحمر السوفياتي من الشرق، ولم تجد مقاومة النازيين نفعا أمام التقدم السريع لتلك القوات والقصف المكثف ، لبرلين مما اضطرهم للاستسلام . و بذلك انتهت الحرب العالمية الثانية في القارة الأوروبية ، في حين استمرت في الشرق الأقصى إلى غاية استسلام اليابان في شهر اوت من سنة 1945. و تجدر الإشارة إلى أن مجموع المجندين من عرب المغرب

العربي (تونس، الجزائر، المغرب) في صفوف القوات الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية « بلغ233 ألفا، منهم 134 ألف جزائريا و 73 ألف مغربيا و26 ألف تونسيا سقط منهم 2600 جزائريا في حملة سوريا، وعموما 1500 مغاربيا في حملة تونس و4000 في ايطاليا و3700 في أرياف فرنسا وألمانيا».[1]

وخلافا لذلك، اقتصر التجنيد في سوريا و لبنان على العناصر النظامية من جنود و دركيين ولم تشمل غير هؤلاء كما يبدو. و يكون عدد من ضموا الى قوات فيشي حوالي 25 ألف جندي، «انسحب 70 ٪ من ضباطهم و 45 ٪ من جنودهم ليلتحقوا بقوات الأمن الداخلي التابعة للحكومة السورية مع نهاية شهر جوان سنة 1945»[2]

ماذا كان جزاء هؤلاء المجندين وشعوبهم لقاء التضحيات المقدمة في حرب لا تعنيهم بالأساس؟ وهل تغيرت السياسة الاستعمارية في الجزائر وسوريا بعد تحرير فرنسا نحو الأحسن؟

في الواقع قبل التحرير النهائي و الاستلام الرسمي لإدارة بلادهم بدأت بوادر عودة الأمل للفرنسيين في استرجاع مكانتهم الدولية وإعادة بسط نفوذهم وهيبتهم في المستعمرات حيث استدعي المفوض العام في وسوريا ولبنان الجنرال كاترو لإدارة شؤون الجزائر(إدارة الشؤون الإسلامية ثم الحكومة

[1]Faivre, Maurice, les Combattants musulmans de la guerre d'Algérie, Ed l'Harmattan, Paris,1995, p12-13 .

[2]سلمى مردم بك، استقلال سوريا (أوراق جميل مردم بك) ، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1994،ص439.

العامة)،الجزائر التي أصبحت العاصمة الثانية لأحرار فرنسا بعد لندن ولكن سرعان ما تمت ترقية كاترو وزيرا لشؤون شمال إفريقيا في أول حكومة فرنسية يوم 9سبتمبر/ايلول1944 .

في سوريا ولبنان فشل خليفة كاترو – جان هيللو– في إدارة البلاد وتسيير المفاوضات مع العناصر الوطنية حول استلام المصالح المشتركة فقام هيللو باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وبعض النواب اللبنانيين في نوفمبر 1943 والذين لم يطلق سراحهم الا بعد ضغوط وتدخّلات بريطانيا بتزكية أمريكية يوم 21نوفمبر/تشرين الثاني و تلى ذلك عقد اتفاق يوم 22 ديسمبر/كانون الأول 1943 بين كاترو و ممثلي الحكومتين السورية واللبنانية بمقتضاه تسلم الصلاحيات للحكومتين على ان ينتقل حق الإدارة و التشريع إليهما فعليا ابتداء من جانفي /كانون الثاني 1944.[1]

وعلى خلفية الأزمة اللبنانية تمت تنحية جان هيللو و استخلافه مؤقتا بسكرتير عام المفوضية ايف شاتينو – وهو الذي سيخلف الجنرال كاترو في إدارة الحكومة العمة بالجزائر لاحقا- وللتحكم في الأمور بحزم وصرامة اكبر تسند إدارة سوريا ولبنان إلى الجنرال بول ايميل باينت في العاشر من جوان/حزيران 1944 .

استمرت الإدارة الفرنسية الاستعمارية في المماطلة وربح الوقت هنا وهناك، في الجزائر وسوريا، حيث جاءت خطبة شارل

[1] نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص 147.

ديغـول في برازافيـل (جـانفي 1944) واعـدة ومطمئنـة لشـعوب المستعمرات بما ينتظرها غداة نهاية الحرب رغم " أن ديغول وضع النقاط على الحروف و أو ضح في هذه الخطبة أن الأهداف البعيدة للانجازات الحضارية الفرنسية في المستعمرات تستبعد فكرة الحكم الذاتي أو الانفصال عن فرنسا " [1]، كما أصدرت فرنسا إصلاحات أو أمريـة 7 مـارس 1944 في الجزائـر لامتصـاص غضـب الجزائـريين وإغـرائهم بـبعض المكتسـبات الشـكلية بخصـوص الحصـول على الجنسية الفرنسية ! استفادت منها فئة ضيقة من المقربين للإدارة طبعا، وقد رفضت الحركة الوطنية الجزائرية هذه الإصلاحات من خلال إنشـاء فرحـات عبـاس لحركـة أحبـاب البيـان والحريـة في 14 مارس 1944 بالتنسيق مع العلماء و حزب الشعب وهي الحركة التي كشـفت النوايـا الاسـتعمارية و شـحذت الهمـم و العـزائم ودفعـت الجزائـريين إلى الالتفـاف حـول هـذه الحركـة ومطالبهـا كمـا جـاء في البيـان الجزائري، وعبثا حـاول كاترو تثمين الإصلاحات وشـد أنظار الجزائـريين ولكـن دون جـدوى، " ووضـع خليفتـه الحـاكم العـام الجديـد ايـف شـاتينو مخططـا دقيقـا اعتمـد فيـه على اسـتغلال التناقضات داخل حركة أحباب البيان للتفريق بين أعضائها وإعادة استمالة عناصر النخبة لعزل حزب الشعب و العلماء " [2]

في سـوريا أخـذت الأمـور منحى أخطـر بسـبب اسـتمرار الحركـة الوطنيـة السـورية وعلى رأسـها الكتلـة الوطنيـة في المطالبـة باسـتلام

[1]A.Nouschi, Les Armes Retournées, op.cit, p86.

[2]يوسف مناصرية، جريمة 8 ماي 1945 في مخططات الاستعمار الفرنسي، مجلة المصادر، العدد7، نوفمبر 2002، ص 75-78.

القوات الخاصة وإدارة الأمن العام دون قيد أو شرط ، وبالمقابل كانت فرنسا مستمرة في المماطلة المناورة، بل أن الجنرال باينيت حاول- تحت الضغط الوطني السوري والبريطاني- ربح الوقت فسافر إلى الجزائر بحجة الاستشارة والتنسيق مع حكومته ولما عاد إلى بيروت وفي الوقت الذي كان ينتظر فيه بداية المفاوضات الجدية بين الطرفين، بدأت البوارج الحربية الفرنسية تصل إلى ميناء بيروت حاملة المئات من الجنود لتعزيز القوى الموجودة في حركة استعراض للقوة قبل البدء في المفاوضات للضغط و التأثير على المفاوضين السوريين، وبالرغم من احتجاجات الحكومتين السورية واللبنانية وحتى القيادة البريطانية التي تتولى الإشراف على القيادة العامة لجيوش الحلفاء في الشرق الأوسط، استمر توافد الجنود الفرنسيين وبدأت عمليات الاستفزاز والاشتباكات بين القوات الفرنسية والشعب السوري وهو ما أصبح ينذر بانسداد الوضع واقتراب موعد الصدام .

2-3 وقائع العدوان العسكري وحصيلته.

3-2- أ - العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر.

8 ايار/ماي 1945 .

بدأت الاستعدادات في العواصم الكبرى خاصة عواصم المنتصرين للاحتفال بالانتصار على الفاشية وفي هذه الظروف بالذات ومصادفة مع الاحتفال العالمي بعيد الشغل في فاتح ماي وقعت مظاهرات عديدة في المدن الجزائرية شارك فيها الأوربيون بدعوة من النقابة الفرنسية (CGTس،ج ،ت) والجزائريين بإيعاز من حركة أحباب البيان والحرية و خاصة حزب الشعب الذي كان الفصيل الأكثر نشاطا و تأثيرا داخل هذا التجمع الوطني . وقد

جرت هذه المظاهرات في " تبسة والقل وخنشلة وعين البيضاء وسطيف ووهران وتلمسان وخاصة الجزائر العاصمة[1] وكذلك في " بجاية وقسنطينة و مستغانم وقالمة وغيليزان وباتنة و بسكرة و سيدي بلعباس وسوق اهراس و شرشال و سكيكدة و سعيدة و عنابة و مليانة". [2] و رفع الجزائريون خلالها لافتات كتب عليها ":الحرية للجميع "، "أطلقوا سراح مصالي الحاج "، "تحيا الجزائر حرّة مستقّلة".فتدخّلت الشرطة الفرنسية كعادتها بعنف لتفريق المتظاهرين. حسب محفوظ قداش، يكون القمع قد أسفر على "13جريح وقتيلين من الجزائريين و3جرحى من رجال الشرطة الفرنسيين "[3] أما رضوان عيناد ثابت ، فانه يذكر "19 جريحا وقتيلين من الجزائريين و06 جرحى من رجال الشرطة الفرنسيين "[4] كما لجأت الإدارة الفرنسية إلى توقيف العديد من العناصر الوطنية المنتمية لحزب الشعب وحركة أحباب البيان والحرية باعتبارهم مسؤولين عن الحوادث ، من بينهم عدد من المسؤولين السياسيين الكبار مثل البشير الإبراهيمي وفرحات عباس و محمد الصالح بن جلول بل أن هذين الأخيرين تم " إلقاء القبض عليهما من قاعة انتظار الحكومة العامة يوم 8 ماي 1945

[1]Mahfoud ,Kaddache , Histoire du Nationalisme Algérien , 191919-1951, Tome 2, Sned, Alger, 1980, p 700.

[2]R.A.Tabet, Le 8 mai 1945 en Algérie ,Enal/Opu, Alger, 1985, p33.

[3]M.Kaddache , ibid.

[4]R.A.Tabet ,opcit , p33.

على الساعة العاشرة وقد كانا قادمين بصدد تقديم التهاني للحاكم العام " ايف شاتينو" بمناسبة انتصار الحلفاء "[1]

كانت مظاهرات الفاتح من ماي إنذارا للفرنسيين و رسالة واضحة للحلفاء والعالم بأن الشعب الجزائري ماض في كفاحه وعازم على انتزاع حريته من الاستعمار الفرنسي.

وقّع الألمان على وثيقة الاستسلام في السابع ماي وفي اليوم الموالي احتفلت شعوب العالم وعواصمه الكبرى بالنصر ولا سيما تلك التي شاركت في صنعه بشكل مباشر أو غير مباشر. ولم يتخلف الجزائريون عن المشاركة كغيرهم من شعوب العالم للتعبير عن فرحتهم بهذا النصر و في نفس الوقت إسماع صوتهم إلى العالم وتذكير فرنسا بوعودها مقابل ضريبة الدم التي دفعوها في حرب لا تعنيهم بصورة مباشرة .

تظاهر الجزائريون بالمناسبة (8 ماي)في كامل التراب الوطني[2]:

في تلمسان ووهران ومستغانم وسيدي بلعباس والمدية والبليدة والجزائر وتيزي وزو و بوسعادة وباتنة وبسكرة وخنشلة وقسنطينة وسطيف وجيجل وبجاية وعنابة وقالمة إلا أن المظاهرات كانت أكثر ضخامة وحرارة في سطيف وقالمة وخراطة من حيث عدد المتظاهرين والحوادث التي تخللتها وردود الفعل الاستعمارية .

المظاهرات بدأت في سطيف [3]ثم جاء دور قالمة . وإن كان

[1] فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، ليل الاستعمار، تعريب ابوبكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، (د . ت) ص 190.

[2] انظر الملاحق رقم (7و8) ص115 و116.

[3]نظر الملحق رقم (5) ص166

عدد المتظاهرين في الأولى أكبر والمدة الزمنية أطول ، إلا أن رد الفعل الاستعماري فيها كان أشد ، بل كان عنفا همجيا أعمى ، شاركت فيه كل القوات برا وبحرا و جوا . وبينما شاركت قوات الجيش والدرك والشرطة في القمع بمدينة سطيف و ضواحيها إلا أن مدينة قالمة شهدت ،علاوة على القوات النظامية، انضمام ميليشيات المستوطنين بمباركة رئيس الدائرة " أشياري" الذي ساهم بنفسه في إطلاق الرصاص على المتظاهرين كما أنه سماح للحرس المدني باخـــراج المساجين الجزائريـــن و إطلاق النـار عليهم " [1]

وعموما اتخذ القمع الذي سلط على الجزائريين ، حسب المؤرخ الفرنسي" لوتورنو" ثلاث أشكال :

- عمليات حربية شاركت فيها القوات البرية والجوية والبحرية [2]
- إعدامات همجية بلامحاكمة نفّذتها القوات العسكرية بمعية و إسناد المليشيات المدنية؛
- القمع القضائي الذي أعقب المظاهرات[3] حيث تم توقيف الآلاف من الجزائريين وإصدار أحكام قاسية ضدّهم[4]

[1]-A. Mahsas, le mouvement révolutionnaire en Algérie , de la 1ere guerre mondiale à 1954, l'Harmattan, 1979, p201.

[2]-انظر الملاحق رقم (2 و3) ص 252-254

[3] R. Letourneau, Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane1920-1961, ed A. Colin, Paris , 1962, p35

[4]-انظر الملاحق رقم (5و6) ص 166 و167

قد طال القمع القضائي"4560 مواطنا اعتقلوا وحوكم منهم 1300 99 بالإعدام و64 بالأشغال الشاقة المؤبدة و 329 بالأشغال الشاقة المؤقتة " [1]. ويرى المؤرخ الفرنسي روجي لوتورنو أنه « مهما يكن فان القادة العسكريين الفرنسيين كانوا يخشون من اتساع نطاق الاضطرابات إلى كامل التراب الجزائري ومن ثم كان من واجبهم كتم أنفاس هذه الحركة في مهدها، كان عليهم الضرب بقوة و بسرعة لكنهم ضربوا بقوة أكثر مما يجب» [2].

من خلال الوقائع التي تخللت المظاهرات ولاسيما في سطيف وقالمة، لا يوجد شك أن العنف الممارس ضد الجزائريين كان عنفا همجيا ومجانيا. فالمظاهرات كانت متوقعة و مرخّصا لها، مؤطرة وسلمية . يقول فرحات عباس بهذا الشأن -وهو احد الذين عاينوا و صنعوا الأحداث - في كتابه "ليل الاستعمار " : « في أفريل 1945 أفضى والي قسنطينة ليسترادكاربونيل للدكتور سعدان بأن هناك اضطرابات ستحصل قريبا وسيحّل أحد الأحزاب الكبيرة » [3] ان فرنسيي الجزائر من المستوطنين والاجهزة الاستعمارية لم يستسيغوا يقظة الجزائريين وتمسكهم بمطالبهم الوطنية لأن في ذلك تهديدا مباشرا وخطيرا لمصالحهم في الجزائر .

أما الادعاءات والتفسيرات التي طرحتها الصحافة الاستعمارية و روّج لها الكثير من الكتّاب والتي أرجعت تلك التظاهرات

[1]حلمي محروس اسماعيل، تاريخ إفريقيا من الكشوفات الجغرافية إلى قيام م.الوحدة الإفريقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004، ص 649.

[2] -R, Letourneau , opcit , p 351.

[3]- فرحات عباس، المصدر السابق، ص 153.

و الصدامات بين الجزائريين و الفرنسيين إلى تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين أثناء سنوات الحرب (كقلة الغذاء والشغل...الخ) فإنها كانت ترمي الى تغييب القضية السياسية الجزائرية. وهناك حقائق تكشف ذلك التزوير و اصبحت معروفة . فمنطقة سطيف لم تكن من المناطق قليلة الغذاء والنشاط الاقتصادي ومع ذلك كانت أكثر المناطق حرارة خلال تلك الأحداث ، بينما هناك مناطق أخرى في مختلف جهات الوطن كانت أكثر بؤسا وفقرا و حرمانا ومع ذلك لم تحرك ساكنا ولم تشارك في المظاهرات.

وفي مستوى آخر من التحليل وباعتراف من الإدارة الاستعمارية الفرنسية «لم تسجّل أية هجمات على مخازن المؤن والغذاء في مناطق الانتفاضة»[1] ، ولم تقرأ أية لافتة محمولة خلال المظاهرات يطالب فيها الجزائريون بالخبز والطعام، فكل الشعارات كانت تحمل مدلولات سياسية مطلبية واضحة تعكس مستوى الوعي السياسي والوطني المتصاعد وتبرز مدى عزم النخبة السياسية الجزائرية على تحدي ومواجهة الإدارة الاستعمارية الفرنسية . وقد حاول كذلك بعضهم تبرير ما جرى « بأن مصالي زعيم حزب الشعب الجزائري كان قد تجوّل لإلقاء خطب مهيّجة في بعض الجهات، ولكن هل من الحق أن يقابل خطاب يلقيه زعيم في جهة ما- مهما كان الخطاب قاسيا و عدائيا- بإغراق الشعب بأحدث أنواع الأسلحة الجهنمية و اصلائه نارا حامية يتلظى أوارها، وحربا طاغية لا قبل له

[1]R.Letourneau, opcit, pp 351-352 .

بصدها؟..».[1]

بالنسبة للمجال الجغرافي للمظاهرات فقد حصرته أغلب المراجع والمصادر في الشمال القسنطيني، إلا أن الدراسات التاريخية الحديثة التي قام بها مؤرخون جزائريون أمثال محفوظ قداش و عيناد ثابت وأبو القاسم سعد الله تؤكد أن المظاهرات شملت كامل التراب الوطني شرقا ووسطا وغربا بل وصلت شمال الصحراء (في بسكرة وبوسعادة)، ولو أن كل الدلائل والمؤشرات تؤكد بأن المظاهرات كانت أكثر حرارة وضخامة وديمومة في الشرق عموما وفي سطيف و خرّاطة و قالمة خصوصا.

بالنسبة لحصيلة العدوان فقد تعددت التقديرات و تضاربت و تناقضت الأرقام المقدّمة من هنا و هناك . إن الجزائريين يرون أن " عدد الضحايا قد بلغ 45ألف شهيدا بل أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قدّمت رقم 85ألف شهيدا، في حين ترى الإدارة الاستعمارية بناء على تقرير الحكومة العامة أن عدد ضحايا المسلمين هو 1340 ضحية، بينما يعتبر كل من شارل أندري جوليان وريمون أرون أن الرقم هو 6000 ضحية، والبعض الآخر أمثال جيرمينتيون تراه بين 15ألف إلى 30ألف ضحية، وتقدم صحيفة نيويورك تايمز الصادرة يـــوم 1946/12/25 إحصائـــية تتراوح بيـــن 7 آلاف و18ألف ضحية في حين صرّح سفير الولايات المتحدة

[1]علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص31 .

الأمريكية أن الرقم تجاوز 40 ألفا" [1] . أما عن الضحايا الأوروبيين فإن القائمة الرسمية التي أصدرتها الحكومة العامة في الجزائر تتضمن 102 ضحية، 77 منهم في منطقة سطيف وحدها و10 في قالمة[2] والباقي في مناطق أخرى من الشرق الجزائري، بالاضافة الى 110 جريح و 10 حالات اغتصاب . ويعتقد آخرون ، من باب الموضوعية المثلى وقصد الخروج من معركة الأرقام بين أشلاء الضحايا، يعتقد البعض ن الرقم الحقيقي للضحايا الجزائريين، بدون شك، يتأرجح بين الرقم الفرنسي الرسمي المصرح به أي 1340 ضحية و الرقم الجزائري الشائع أي 45000 ضحية.

بالرغم من كل هذه الاختلافات في المعطيات الإحصائية إلا أن الثابت لدى الجميع هو أن الضحايا الجزائريين أكثر بكثير جدا من الضحايا الأوروبيين، ولكن السلطات الفرنسية تعمّدت تخفيض عدد الضحايا الجزائريين و تزوير وإخفاء الحقائق و إلا بماذا نفسّر "عدم نشر تقرير الجنرال توبير بل إنهاء تحرياته بسرعة كبيرة ؟ فقد تم تعيينه يوم 19ماي ومكث بالجزائر العاصمة 6 أيام بحجة انتظار عضو جزائري في لجنة التحقيق وهو قاضي تلمسان " الطالب شعيب ولد بن عودة"، قبل التوجه نحو سطيف يوم 25 من نفس الشهر، أن لم يكن من اجل إعطاء فرصة لسلطات سطيف لتحضير أنفسهم ومحو آثار الجرائم"[3]

[1]R.A.Tabet .opcit ,p72.

[2]Ibid , p 73 .

[3]www.ldh-toulon.net/spip.php?article600.visité le 19/03/2010 à 13h20.A.Nouschi, Les Armes Retournées, opcit , p125 انظر أيضا

ما يؤكد سوء النوايا لدى تلك السلطات هو استدعاء الجنرال توبير إلى العاصمة يوما واحدا بعد وصوله إلى سطيف ، أي أن الجنرال توبير لم يزر المنطقة الثانية المتضررة من الإحداث بعد سطيف وهي مدينة قالمة وضواحيها والتي شهدت أبشع الجرائم

3-2-ب- العدوان العسكري الفرنسي على سوريا 29 ايار/ماي1945 وحصيلته

إن تغير معطيات الحرب العالمية الثانية على جبهة شمال إفريقيا وعلى الجبهة الأوروبية لصالح الحلفاء جعل الموقف الفرنسي يتجه مجددا نحو التشدد في مواجهة مطالب الحركة الوطنية السورية كمحاولة منها - أي فرنسا- لاسترجاع هيبتها في المشرق والحيلولة دون ضياع مصالحها في المنطقة أمام الأطماع البريطانية المعلنة والخفية في استخلافها هناك .

ومن الجهة المقابلة كانت الكتلة الوطنية عازمة على استغلال كل المكاسب التي حققتها سابقا سواء ما تعلق منها بالتنازلات الفرنسية أو ما حصدته من دعم سياسي ودبلوماسي على المستويين العربي والدولي. و حاولت الكتلة كذلك الاستفادة من الصراع الدائر بين البريطانيين والفرنسيين وتحويله ليصب في مصلحة الشعب السوري.

فقد كانت الحكومة السوري مصرّة وعازمة على تحقيق الاستقلال التام والناجز بدون شروط بينما كانت فرنسا حريصة

على تقييد سوريا بمعاهدات تضمن لها امتيازات عسكرية واقتصادية وثقافية تسمح لها إن خرجت من الباب أن تعود من هذه النوافذ .

في هذه الظروف بلغ الاحتقان أوجه، واتجهت الأمور نحو التعفّن والانسداد. كان من المقرر أن تبدأ المفاوضات بين فرنسا وسوريا يوم 19 ماي 1945، غير أن الحكومة الفرنسية ارتأت ضرورة التلويح بالقوة العسكرية قبل الشروع في المفاوضات لترهيب السوريين وضمان تسهيل فرض شروطها على مفاوضيهم . وفي هذا الإطار، أمر الجنرال ديغول بإرسال تعزيزات عسكرية إلى سوريا ولبنان وسلّم تعليمات حول المفاوضات للجنرال باينيت مفادها أن هدف المفاوضات هو إبرام معاهدات لتسوية القضايا المطروحة بسبب الانتقال من وضع الانتداب إلى وضع الاستقلال لكن مع مراعاة المصالح الثقافية والاقتصادية والإستراتيجية الفرنسية .

طبقا لذلك وصل أول فوج من القوات الفرنسية إلى ميناء بيروت قادما من المغرب العربي (الجزائر و بنزرت) وذلك يوم 05 ماي 1945. وفي اليوم الموالي أرسلت الحكومة السورية مذكرة احتجاج إلى فرنسا تحذرها من جلب التعزيزات العسكرية. كما وجّه وزير الخارجية، جميل مردم بك ، مذكرة للحكومة البريطانية أوضح فيها أنه ما دامت الحرب في أوروبا قد انتهت فلم يعد يحق لأية قوات أجنبية الدخول إلى الأراضي السورية دون موافقة الحكومة السورية. ومع ذلك لم تعر فرنسا أي اهتمام لمذكرات الاحتجاج السورية . وأصبح الوضع ينذر بالانفجار كما وصفه القائد العام

للجيش البريطاني الجنرال باجيت في برقية موجهة إلى وزارة الحرب البريطانية: « مدرعات مسلّحة ودوريات تجوب الشوارع باستمرار في دمشق وحلب، وأن المدرعات باقية في دمشق وأن الطائرات تحلّق فوق المساجد في أوقات الصلاة، وأن الرشّاشات منصوبة باستمرار فوق السطوح ...»[1] . وبناء على هذه البرقية اتصل السفير البريطاني في باريس داف كوبر بالجنرال ديغول طالبا منه نزع فتيل الوضع المتفجّر لكن ديغول لم يرضخ وردّ عليه قائلا: «... إنكم تصرون على التدخل بين فرنسا و بين الدول التي تحت انتدابها.وعليه فإننا نعتقد، وعن حق، بأن هدفكم هو طردنا »[2] وهو ما زاد في تعقيد الموقف أكثر.

من جهتها أرسلت الحكومة الأمريكية كذلك مذكرة تدعو فيها الجنرال ديغول إلى الالتزام بالحل الدبلوماسي وتفادي الصدام . ومع ذلك لم يؤثر لا الطلب البريطاني و لا المذكرة الأمريكية في شارل ديغول بسبب قناعته بتآمر البريطانيين مع السوريين لطرد الفرنسيين . حيث أورد في مذكراته: « لن نرحل إلا إذا كنا مرغمين وسنذهب إلى حد مقاتلة الثورة والإنجليز معا، ولن أصغي إلى المزايدات» ويتّضح من هذا الكلام أن ديغول كان عازما على البقاء في سوريا بالاعتماد على القوة العسكرية . كما يؤكد هذا الاتجاه وجود « البلاغين العسكريين اللذين أصدرهما قائد القوات

[1]سلمى مردم بك، استقلال سوريا (أوراق جميل مردم بك)، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، 1994، ط1، ص428-429.

[2]الجنرال ديغول، مذكرات الحرب، الخلاص1944-1946،ترجمة خليل هنداوي وابراهيم مرجانة، منشورات عويدات، بيروت 1981، ص270-271.

الفرنسية في سوريا الجنرال أوليفا روجيه يوم 26 ماي 1945احدهما موجه إلى العسكريين يدعوهم فيه إلى الاستعداد للمواجهة، والثاني للرعايا الفرنسيين يدعوهم فيه إلى اليقظة و الحذر»[1].

عمت الاضطرابات المدن السورية ولا سيما حمص وحماه وحلب و حوران و دير الزور يوم 27 ماي وتدخّلت القوات الفرنسية بواسطة الجنود السنغاليين لإخمادها . وكلما كان التدخل عنيفا زادت المظاهرات اتساعا و قوة ، مما دفع جميل مردم بك إلى التكثيف من اتصالاته مع الأمريكيين والبريطانيين بشكل خاص للتدخل من أجل منع اندلاع حرب ساخنة.

في 28 ماي عقد تشرشل اجتماعا موسّعا حضره وزير خارجيته انطوني ايدن ورؤساء أركان الإمبراطورية للتباحث حول الموقف المثالي الواجب اتخاذه . وكانت حصيلة اللقاء: التريث والانتظار وعدم التدخل قبل معرفة الموقف الأمريكي، وفي نفس الوقت إرسال برقية لتلطيف مزاج السوريين تدعوهم لعدم تهويل الأمور. غير أن عدوانا عسكريا فرنسيا وقع في اليوم الموالي، 29 ماي، بعد رفض حراس البرلمان – المقابل لمقر قيادة الأركان الفرنسية في دمشق – من الشرطة والدرك السوري الاستجابة

[1]- سلمى، مردم بك ،المرجع السابق ، ص .429

[2]- على رضا، قصة الكفاح الوطني في سوريا سياسيا وعسكريا حتى الجلاء، المطبعة الحديثة، حلب، سوريا، 1979،ص 478 -484.

لأوامر الفرنسيين القاضية بأداء التحية للعلم الفرنسي[1]؛ وكان هذا الرفض بداية العدوان على الشعب السوري.

بدأ ذلك العدوان بقصف البرلمان ثم اقتحامه وقتل حراسه والتمثيل بجثتهم و إتلاف معداته وأثاثه. و قبل مغادرة المكان حمل المغيرون معهم كل الأوراق الرسمية والصندوق الحديدي الموجود في مكتب رئيس المجلس. كما قامت القوات المغيرة بعمليات تفتيش دقيقة لغرف المجلس وأروقته وكأنها كانت تبحث عن أشخاص بعينهم .[2]

كان الفرنسيون يعلمون أن هناك جلسة ستعقد ذلك اليوم ، في البرلمان «كانت هناك جلسة مقررة على الساعة الخامسة ظهرا لسماع بيان جميل مردم بك حول تطورات الموقف لكن الاستعدادات الفرنسية و الدبابات المرابطة أمام المجلس حالت دون وصول كثرة النواب واكتمال النصاب القانوني للجلسة فاجّل الرئيس الجابري الجلسة إلى موعد أخر... »[3]

و بعد أن أنهوا هجومهم على البرلمان وجّه الفرنسيون نيران المدفعية والطيران نحو القلعة المجاورة التي يوجد بها مقر قيادة الدرك والسجن المدني . وقد سقط عدد كبير من السجناء قتلى في

[1] هنا أتساءل : هل كان رجال الشرطة و الدرك يؤدون التحية للعلم الفرنسي في السابق ام لا؟ لم اعثر خلال بحثي على ما يؤكد أو ينفي ذلك بشكل صريح ولكنني افترض أن عدم أداء التحية موقف تحدّي وطني جديد شجّعت على اتخاذه المكاسب التي انتزعتها الكتلة على المستوى المحلى و الإقليمي و الدولي والمركز الضعيف لفرنسا بين حلفائها.

[2] انظر الملاحق رقم (14و 15و16) ص175-176.

[3]سعيد التلاوي، كيف استقلت سوريا، مطابع مجلة الدنيا، دمشق، 1951، ص .

زنازنهم. ولولا إصدار النائب فخري البارودي أمرا بإطلاق السجناء ، لقتل جميع من بالسجن.

وبعد القلعة بدأ القصف يتجه نحو فندق الأوريون بالاس حيث يقيم رئيس مجلس النواب، سعد الله الجابري، الذي لم يكن يومها هناك . لكن القصف تسبب في سقوط العديد من الأجانب منهم ضابطان بريطانيان. ثم وجّهت القذائف نحو الدوائر الرسمية السورية التي جرى اقتحامها ونهب وسلب ما بداخلها مثل« وزارة الخارجية والداخلية والمالية والدفاع الوطني ورئاسة مجلس الوزراء والإعاشة والإشغال العامة و مديرية الأوقاف العامة والعشائر العامة و دائرة النافعة»[1] كما احتلوا مركز الهاتف ومركز توزيع الكهرباء .

واستمر القصف طوال ليلة 29 أيار وحتى صبيحة اليوم الموالي وأشاع الفرنسيون أن الحكومة السورية قد تركت العاصمة.

هذا وقد تمكّن وزير الخارجية جميل مردم بك من الاتصال بالرئيس شكري القوتلي وبالممثلين البريطاني والأمريكي وإعلامهما بضرورة التدخل العاجل لإيجاد حل للأزمة مع الفرنسيين ، وملحّا على أن ذلك هو المحك لمصداقية الحلفاء في وضع وعودهم موضع التنفيذ .

كانت كل التقارير الواردة إلى الحكومة البريطانية من ممثليها في المشرق و من الحكومتين السورية و اللبنانية تؤكد على ما بلغته

[1]مؤلف مجهول، عدوان فرنسا على سوريا ايار/حزيران 1945، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1945، ص27.

الامور من خطورة ، مما اضطر بريطانيا إلى توجيه إنذار إلى فرنسا تدعوها فيه إلى وقف إطلاق النار يوم 31 ماي /أيار و إلا ستكون مجبرة على التدخل العسكري ، ولم يجد ديغول بدا من الاستجابة وهو يدرك أن بريطانيا جادّة فيما تقول و قادرة عسكريا على ذلك، لذا أعطيت التعليمات للقائد الفرنسي اوليفا روجيه بوقف إطلاق النار ونفّذها فعلا صباح يوم 1 جوان/حزيران 1945 على الساعة العاشرة و الربع .[1]

وحسب ما أوردته برقيات المحافظين التزم الجنود الفرنسيين البقاء في ثكناتهم طبقا لأوامر الجنرال باجيت ، و بمناسبة إنهاء العدوان أبرق كل من الرئيس شكري القوتلي ووزير الخارجية جميل مردم بك إلى نظيريهما البريطانيين ونستون تشرشل وأنطوني ايدن برسالتي شكر وتقدير على المساعدة. واستلم البريطانيون زمام الأمور وعاد رئيس الوزارة فارس الخوري من سان فرانسيسكو في 26 أوت 1945 لتشكل وزارة جديدة يقودها سعدالله الجابري .

بالنسبة لحصيلة العدوان العسكري الفرنسي على سوريا يرى مؤلف مجهول عايش العدوان أن " عدد القتلى 616 منهم 39 دركي و الجرحى 2072 منهم 82 دركي"[2] ويشير غيره إلى 500 شهيد سوري منهم 82 دركي من أصل 83 دركي كانوا يحرسون مقر البرلمان فيما وصل عدد الجرحى إلى 500 جريح ، وحسب كامل الدعواق«بلغ عدد الشهداء 41 منهم 38 دركي وثلاث قتلى وجريحين من

[1]محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 247.

[2]مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص 146.

الشرطة»[1]، أما بريطانيا التي كانت جد مهتمة بالملف السوري و ضالعة فيه فقد صرح رئيس حكومتها ونستون تشرشل في مؤتمر صحفي أن «مأساة دمشق تسببت في قتل 400 مدني و 80 دركي أما الجرحى فعددهم 500 شخص أصيبوا بجراح ذات شأن و1000أصيبوا بجراح مختلفة» [2] .

عموما فإن اغلب المراجع والمصادر تتحدث عن عدد من الشهداء[3] يتراوح بين 500 و616 شهيدا، و عن عدد من الجرحى تراوح بين 500 و2072 جريح.وبالنسبة للجانب الفرنسي فقد سجّل سقوط 78 عسكري منهم 28 ضابطا.

كان نصيب مدينة دمشق هو الأكبر من عمليات القصف وما تبعها من أعمال اضطهاد وحشي عاشتها أحياء المدينة طوال الأيام الثلاثة 29،30 ،31 ايار/ماي 1945 . لذلك كان الخراب والدمار فيها أكبر وضحاياها أكثر، بشهادة الجنرال البريطاني باجيت نفسه. أما المدن الأخرى كحماه وحمص ودير الزور و حوران و الحسكة واللاذقية والسويداء فانها تأثرت بدرجة أقل، علما أن الصدامات توقفت في اليوم الثالث من العدوان في دمشق لكنها استمرت خارجها إلى غاية منتصف شهر جوان 1945.

---

[1]كامل الدعواق، دمشق تسبح بالدماء!؟! أو أيار 1945والعدوان الفرنسي، أسرار لم تنشر

من قبل، بيروت، ط1، بدون ناشر ،(د.ت) ، ص 13- 15.

[2]منير تقي الدين، الجلاء، وثائق خطيرة تنشر لأول مرة، دار بيروت، بيروت، 1956، ص140.

[3] انظر الملاحق رقم (17و18) ص 178 و 179.

كان الثمن غاليا لكن جلاء القوات الفرنسية الغازية وحصول الشعب السوري على استقلاله كان أغلى .

يمكن القول أن العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر وسوريا يدخل في سياق رغبة فرنسا في استرجاع ممتلكاتها في المشرق والمغرب وإحكام السيطرة عليها ثانية، وفي نفس الوقت كان غرض القيادة الفرنسية تقديم دليل عسكري وسياسي على استعادة فرنسا لقوتها ومكانتها الدولية تجاه التحالف الأنجلو-أمريكي الذي همّشها وقزّمها سياسيا على المستوى الدولي و عسكريا في جبهات الحرب ، وأحرجها معنويا أمام شعوب مستعمراتها بصفة خاصة ، فكان العدوان رسالة عنيفة للحركة الوطنية في الجزائر و سوريا ولشعبي البلدين مفادها انه لم يعد في الإمكان المطالبة بالاستقلال، مستغلّين الضعف الفرنسي و التأييد الأنجلو- أمريكي.

3-3 الموقف الدولي من العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر و سوريا .

بعد أن تعرفنا على حجم الضحايا البشرية و الدمار والخراب المترتب عن العدوان العسكري الفرنسي في كل من الجزائر وسوريا، يجدر بنا ان نحاول معرفة صداه على المستوى الإقليمي والدولي .

كانت معظم البلدان العربية أثناء الحرب العالمية الثانية تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية بشكل مباشر أو غير مباشر في المشرق العربي، كانت تلك السيطرة بريطانية بالدرجة الأولى.

- **موقف جامعة الدول العربية.**

وفي إطار المساعي التي كانت تبذلها الحكومة البريطانية لجمع الدعم والمساندة لمجهودها الحربي ، قدّم انطوني ايدن عام 1941 مبادرة جرت على إثرها مباحثات ومشاورات أدت إلى إقامة جامعة الدول العربية في مارس 1945.

- موقف الجامعة العربية من الوجود العسكري الفرنسي في سوريا و لبنان.

في هذه الظروف كانت أزمة العلاقات بين سوريا و فرنسا أول أزمة فرضت نفسها على الجامعة العربية، باعتبارها تتعلق بأحد أعضائها. وقد علّق عبد الرحمن عزام، أمين عام الجامعة العربية، على الموقف في تصريح لجريدة نيويورك تايمز الأمريكية يوم 22ماي/ ايار1945 قائلا:

« بأن فرنسا تسببت بتلك الأزمة لأنها تراجعت عن قراراتها السابقة، التي نصّت على استقلال سوريا وعادت إلى أساليبها القديمة»[1].

كانت الحكومتان السورية واللبنانية قد قدّمتا طلبا للجامعة و حدد يوم4 جوان لدراسته، ولكن الأحداث تسارعت والمسألة زادت تعقيدا قبل موعد اجتماع مجلس الجامعة. وهو ما أدى ببريطانيا الى أن تدخلت يوم 01جوان /حزيران1945 وأجبرت الفرنسيين على وقف طلاق النار الأمر الذي لقي استحسانا عربيا، كما دل بيان مندوب مصر، النقراشي باشا، امام مجلس الجامعة،

[1]محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 278.

يـوم 4 جـوان، والـذي قـدّم خلالـه الشـكر لبريطانيـا على تـدخلها الحاسم. أما الوفدان السوري واللبناني فانهما قدما مذكرة ثنائية إلى المجلس جاء فيها:

«- طلب اتحاد تدابير لصيانة استقلال سوريا.

- لمحة تاريخية عن أعمال فرنسا في سوريا ولبنان.

- وجود الجيش الفرنسي هو السبب الأول في كل ما قاسته سوريا ولبنان»[1]

بناء على ذلك، أصدر مجلس الجامعة بلاغا رسميا، يوم 7 جـوان، أبـدى فيـه تأييـده المطلـق لطلـب سـوريا ولبنـان بـالجلاء العاجل للقوات الفرنسية عن أراضيهما، وعزم الجامعة العربية على اتخـاذ كافـة الإجـراءات التي تراهـا ضـرورية لوقـف العـدوان. ولـم تضـطر الجامعـة لتنفيـذ قراراتهـا بهـذا الشـأن، لأن فرنسـا في الأخير وتحـت الضـغوط الدوليـة داخـل هيئـة الأمـم وافقـت على سـحب قواتهـا ومـع ذلـك فقـد كـان موقـف الجامعـة سـندا دبلوماسـيا وسياسيا للمسألة السورية اللبنانية.

- موقـف الجامعـة العربيـة من العـدوان العسـكري الفرنسي على الجزائر.

كانتالجامعة العربية لا تضم، حسب ميثاقها، سوى البلدان العربية التي تتمتع بالاستقلال، بصرف النظر عن طبيعة هذا الاستقلال و مداه، و مع ذلك، كان الميثاق يسمح للجامعة بالاعتناء بقضايا

[1]نفس المرجع، ص 280.

البلدان العربية غير المستقلة، وتأييد مطالبها في الحرية و السيادة، مثل قضية الجزائر.

و فيما يتعلق بموقف الجامعة العربية من العدوان الفرنسي على الشعب الجزائري، في 8 ماي 1945، بصفة خاصة، قام الأمين العام، عبد الرحمن عزام، بإثارة الموضوع مع عدة مسؤولين فرنسيين، مبرزا استياء العرب من السياسة القمعية في الجزائر و بلاد الغرب العربي الأخرى. كما انه حمّل الأمريكيين مسؤولية تلك المذبحة، باعتبارهم هم الذين أعادوا الفرنسيين إلى حكم الجزائر. و مع ذلك، اتسم موقف الجامعة العربية فيما يتعلق بقضية سوريا بقوة اكبر من موقفها المتعلق بالجزائر. و ذلك لا يعود فقط إلى كون سوريا من الأعضاء المؤسسين، ولكن يعود أيضا إلى وجود اختلاف في المصالح بين بريطانية و فرنسا في المشرق عموما، و في الشام خصوصا.

كما قد وجّه حزب الشعب الجزائري إلى الجامعة العربية سنة 1946 ، تقريرا حول العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر قدم فيه « لمحة تاريخية عن الغزو الفرنسي و أثاره المختلفة ثقافيا و اجتماعيا و اقتصاديا ليخلص إلى ضخامة ضحايا العدوان الفرنسي و التأكيد في الختام على عروبة الجزائر و ضرورة إدراج القضية في مجلس الجامعة [1] » . كما لعبت جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا بقيادة الفضيل الورتلاني و الشيخ الخضر حسين

[1] مجلة الذاكرة، العدد 2، السنة الثانية، ربيع 1995، ص82 - 98.

و بعدها لجنة تحرير المغرب العربي دورا كبيرا في التعريف بالكفاح الجزائري و دعمه في مصر وسوريا خاصة و المشرق العربي عامة.

- **الموقف السوفياتي**

لم يكن للإتحاد السوفياتي مصالح مباشرة في سوريا قبل تعرضه للهجوم الألماني الكبير (حملة بربروسا) في جوان 1941. ذلك الهجوم الذي وضع حدا لمعاهدة عدم الاعتداء الألمانية-السوفياتية وجعل الاتحاد السوفياتي ينضم للمعسكر المعادي للنازية والفاشية. ومن هنا، بحكم تقاطع المصالح، بدأ اهتمام الإتحادالسوفياتي بما يجري في الشرق الأوسط. ومما ساعد على ذلك هو توجه ديغول نحو التقرب من ستالين لحثه على الاعتراف بحركة فرنسا الحرة لتعويض ما فقده من دعم مادي ومعنوي من بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية ، وضمان حليف قوي يؤيد كل تحركات أحرار فرنسا في سوريا ولبنان.

وقد شعرت الحكومة السورية بمخاطر التزكية السوفياتية للمواقف الفرنسية وحاولت قطع الطريق أمام الديغوليين والعمل من أجل إقامة علاقات مباشرة مع السوفيات . وأثمرت هذه المساعي بالاعتراف باستقلال سوريا والموافقة على تبادل التمثيل الدبلوماسي في نهاية شهر جويلية 1944. و« في 20 أكتوبر من نفس السنة وصل إلى بيروت أول وزير سوفياتي مفوض في سوريا هو دانيال صولود ويقابله في موسكو نظيره فائز الخوري عن سوريا»[1]

[1]محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 273.

ومنذ ذلك الوقت أصبح الإتحاد السوفياتي أكثر اهتماما بما يجري في المنطقة.

ولما تعرضت سوريا للعدوان العسكري الفرنسي أصدرت الحكومة السوفياتية بيانا ناشدت فيه بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والصين لاتخاذ إجراءات مستعجلة لوقف النزاع في سوريا وحلّه بالطرق السلمية. كما أبدى الاتحاد السوفياتي رفضه للوجود الأجنبي على الأراضي السورية بصفة خاصة، و للامتيازات لأي دولة أجنبية كانت .

أما عن موقف الاتحاد السوفياتي من العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر، فلم يقع بين أيدينا ما يؤكد موقفه من العدوان صراحة إلا ما يمكن استنتاجه من خلال موقف الشيوعيين الجزائريين وصحافتهم. فقد كان الحزب الشيوعي الجزائري تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان بدوره واحدا من الأحزاب الشيوعية البارزة على المستوى الدولي و التي تتجاوب مع الاتحاد السوفياتي وتمجد قيادة ستالين و مواقفه.

انطلاقا من هذه الاعتبارات، نذكر بان الصحف التابعة للحزب الشيوعي الجزائري اعتبرت أحداث 8 ماي 1945 بالجزائر، مؤامرة فاشية و فيشية يجب معاقبة مرتكبيها. وهذا الموقف جديد، يأخذ بعين الاعتبار معطيات مغايرة. أثناء أحداث 8 ماي، كان الموقف معادي للحركة الوطنية الجزائرية و حمل الشيوعيون حزب الشعب المسؤولية .كما نددت نفس الصحافة بالقمع الوحشي ووجهت تهما إلى " لسترادكاربونيل " و "اشياري" و"دوفال" ، وطالبت

بمعـاقبتهم « لأنهـم المسـؤولين الحقيقيـين ، مـدبري الجريمـة و المشـرفين عليهـا و الـذين لا يزالـون يتمتعـون بـالاحترام و يزاولـون عملهـم في مناصـبهم»[1] ، ومـن جهـة أخـرى طالبـت بـإطلاق سـراح سـجناء قمـع 08مـاي5 و دعـت إلى اسـتعادة الثقـة في السـكان المسلمين و الأوربيين ، و وقف المسار الدموي الخطير للأحداث .

هـل تطـابق موقـف الاتحـاد السـوفياتي مـع موقـف الشـيوعيين الجزائـريين و الفرنسـيين؟ لا يمكـن الجـزم بطبيعـة الحـال، خاصـة وان الاتحـاد السـوفياتي كان كغيره مـن المنتصـرين الكبـار مشـغولا بـأجواء الاحتفـال وترتيـب بيتـه الـداخلي و الـذي زاد اتسـاعا خاصـة بعـد تحريـره لأوربـا الشـرقية ، و حرصـه على تعيـين ودعم حلفائه الشيوعيين فيها لضمان مجاله الحيوي .

إن كانـت المسـألة الجزائريـة أو مسـألة العـدوان العسـكري الفرنسي على الجزائر يوم 08 ماي 1945 ، لم تحظ باهتمام الهيئة الأممية الناشئة لان الكبار فيها -كما جرت العادة- اعتبروا الموضوع شـأن داخلي بـين فرنسـا و رعاياهـا و هـو نفس الموقـف الـذي أبـداه التحـالف الانجلـو-أمريكي بعـد إنـزال شـمال إفريقيـا في 08 نـوفمبر 1942 ، كما أن انشـغال العـالم و لا سـيما الـدول الكبرى الفاعلة في الهيئة باحتفالات الانتصار على النازية و الفاشية ألقى بضلاله على المأسـاة الجزائريـة، فلـم تتبنى الهيئـة - وهي مازالـت تخطـو خطواتهـا

[1]صحيفة الحرية، يوم 1946/12/29، انظر عبد السلام عكاش، نظرة الصحافة الاستعمارية لانتفاضة 8 ماي 1945، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006، ص 175.

الأولى - موقفا بشأن العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر بل أن الجزائريين هم الذين حاولوا الاتصال بالهيئة و إبلاغها بما حصل في الجزائر من إراقة للدماء و ذلك من خلال الرسائل التي وجهها الفضيل الورثلاني إلى الهيئة الأممية و سفراء الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن في إطار نشاطاته ضمن جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا مع الشيخ محمد الخضر حسين قا من مقر تواجدها في القاهرة و "منها الرسائل الموجهة للجامعة العربية و هيئة الأمم بتاريخ 6 و 10 ماي 1945" [1]
و أخرى "يوم 08 ماي 1946"[2]، و"إلى مؤتمر سان فرانسيسكو في أكتوبر 1945 و هيئة الأمم، يوم 1946/08/03"[3].

على العكس من ذلك كانت المسألة السورية اللبنانية ضمن جدول أعمال الهيئة بل أنها كانت من القضايا الأولى التي عالجتها الهيئة على أساس أن سوريا و لبنان كانت قد أعلنتا الحرب على دول المحور في ربيع 1945 ،مما هيأ لهما الطريق للاستفادة من الانتساب للهيئة كأعضاء مؤسسين." لقد مثّل سوريا لدى هيئة الأمم كل من رئيس الوزراء " فارس الخوري" رئيسا و "ناظم القدسي" وزير مفوض في واشنطن و " نعيم انطاكي " عضوا و " فريد زين الدين" و "نور الدين كحالة" مستشارين و " توفيق هنيدي" سكرتيرا"[4].

[1] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2007، ص233- 239.

[2]نفس المرجع، ص 243.

[3] نفس المرجع، ص 281.

[4] محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 282.

وقد ألقى فارس الخوري كلمة سوريايوم 12ماي/ايار1945 ، ثم وقع في 06 جوان على ميثاق "منظمة الامم المتحدة" . و من ثم كان لزاما على الهيئة الحفاظ على سيادة سوريا. فبعد نجاح الحكومة السورية في استلام القوات الخاصة، بقيت مسألة تواجد القوات الفرنسية و لو أن القوات البريطانية كانت متواجدة في التراب السوري كذلك لكن بناء على طلب من الحكومة السورية.

و للبحث في مسألة الجلاء النهائي عن الأراضي السورية و اللبنانية بدأت سلسة من المباحثات بين البريطانيين و الفرنسيين و لكن نتائجها لاعتبارات سياسية و إستراتيجية كانت غير مرضية للسورين. فوجهوا رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوم 04فيفري1946 تدعوه إلى طرح مسألة جلاء القوات الأجنبية عن الأراضي السورية على مجلس الأمن. وبناءا عليه، اجتمع مجلس الأمن الدولي بين 14و 16 من نفس الشهر ، واستمع إلى وجهات نظر كل الأطراف والمقدمة بداء بالوفد السوري .لم يحظ أي اقتراح بالإجماع، لأن كل المقترحات كانت إما ناقصة أو يشوبها بعض الغموض. في الأخير نال الاقتراح الأمريكي [1] موافقة 07 دول و امتناع فرنسا و بريطانيا و بولونيا عن التصويت ، لكن المندوب السوفياتي استعمل حق النقض ضد المقترح الأمريكي و أبطل القرار قانونيا.[2] إلا أن وزيري خارجية فرنسا

[1]محمد رجائي ريان، المرجع السابق، ص 289.

[2]شنايدرل.لويس، العالم في القرن العشرين، ترجمة سيد عبود السامرائي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 240.(النسخة الانجليزية الأصلية 1955).

و بريطانيا أعلنا عزمهما على تنفيذ قرار مجلس الأمن رغم النقض السوفياتي .ثم بدأت مفاوضات أنجلو- فرنسية في باريس، اتفق فيها الطرفان على الانسحاب من سوريا بين 11 مارس و 30 أفريل 1946. و بالفعل تم الجلاء فعليا في منتصف أفريل و أعلنت الحكومة السورية يوم 17 أفريل عيدا قوميا للاستقلال .

كان ذلك بعد عشرة أشهر ونصف من العدوان، وبعد احتلال دام 45 سنة وتسعة أشهر تقريبا، لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الاستقلال.

وفي اليوم الموالي لانسحاب القوات الفرنسية ألقى الرئيس شكري القوتلي خطابا هاما جاء فيه:

«.. بني وطني... هذا يوم الحق تدوي فيه كلمته ويوم الاستقلال تتجلى عزّته...

لقد صبرنا حتى انقلبت النقمة نعمة ، وحفر الاستعمار بيده لحده، ومن حالكات

تلك الليالي السوداء بزغ فجر هذه الحرية الزهراء..... إننا نطوي اليوم صفحة الجهاد في سبيل استقلالنا لنفتح صفحة الجهاد لصيانته..... وقد تكون صيانة الاستقلال أشق من الظفر به، نشكر الله توفيقه، وللشعب ثباته وصدق بلائه.

ونقطع على أنفسنا عهدا أكيدا أن نحافظ على استقلالنا....."[1]

[1]" شكري القوتلي يخاطب أمته" مختارات من خطبه وبياناته، الطبعة الثانية، مكتبة الفجيرة الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

4-1 النتائج السياسية للعدوان .

لنبقى في سوريا لنقول بان نهاية العدوان عليها كان يمثل بداية مرحلة جديدة لطالما حلم بها الوطنيون السوريون و بذلوا من أجلها النفس و النفيس ألا و هي نيل الاستقلال و الحرية. و عموما يمكن تلخيص النتائج السياسية للعدوان على سوريا كما يلي :

-تدويل المسألة السورية.

- إرباك فرنسا و إحراجها على المستوى الدبلوماسي الدولي .
- إضعاف مركز فرنسا السياسي في عيون حلفائها .
- إحداث القطيعة الكاملة بين الشعب السوري و الإدارة الاستعمارية .

-دعم معنويات حركات التحرر في المشرق و المغرب العربيين.

- تأكيد صفة الهمجية للاستعمار الفرنسي لدى الرأي العام العالمي بارتكابه مجزرتين رهيبتين في نفس الشهر .
- دعم مركز و نفوذ الكتلة الوطنية في سوريا نظرا لدورها القيادي في معركة التحرير.
- نجاح الدبلوماسية السورية في انتزاع الدعم و المساندة الإقليمية و الدولية لمؤازرة الكفاح الوطني.

-الزيادة في تعفين أزمة النظام الاستعماري الفرنسي.

- دعم مكانة سوريا داخل الهيئة الأهمية و في الجامعة العربية

إذا كان كفاح السوريين قد توّج بنيل الاستقلال و الحرية بعد العدوان العسكري الظالم، فقد كان على الجزائريين أن يدفعوا فاتورة أثقل ماديا و بشريا، لبلوغ نفس الغاية. إنهم أدركوا ضرورة

الانتقال الى مرحلة جديدة من الكفاح الوطني وهم فيها أكثر نضجا و صلابة و عزيمة .

أما بالنسبة للنتائج السياسية للمجزرة الفرنسية في حق الجزائريين، يمكن تلخيصها كما يلي:

- لعل أهم نتيجة سياسية للعدوان هي إقناع الجزائريين بعدم جدوى الاقتصار على الكفاح السياسي وحده، أي دون أن يكون مقرونا بالكفاح المسلح. هذه النتيجة تجلت في تطور حزب الشعب الجزائري ، بصفة خاصة إدراك الحركات السياسية الجزائرية لواجب البحث عن صيغة لتوحيد الجهود في مواجهة النظام الاستعماري .

- حدوث القطيعة الشاملة بين المجتمع الجزائري و المجتمع الاستعماري.

- الإيمان بضرورة التنسيق و التعاون بين كل حركات التحرير في المغرب العربي لمواجهة العدو الواحد.

- تشويه صورة النظام الاستعماري الفرنسي لدى الرأي العام العالمي عموما و الرأي العام الأوروبي والفرنسي خصوصا من خلال وسائل الإعلام ، و هذا بالرغم من المحاولات الفرنسية الرسمية للتستر على العدوان و نتائجه و توجيه أصابع الاتهام للجزائريين و الجامعة العربية

و التحالف الانجلو- أمريكي.

-الزيادة في تفاقم الأزمة الهيكلية للنظام الاستعماري الفرنسي الذي لم يكد يلتقط أنفاسه مما وقع في الجزائر حتى اشتدت

ضده المقاومة في سوريا و لبنان و في الهند الصينية و المغرب و تونس و مدغشقر و غينيا و السنغال...الخ.

- اضطرار السلطات الفرنسية الى تنفيذ مجموعة من الإصلاحات، من بينها إصدار دستور الجزائر في 20 سبتمبر 1947[1] .

- بإجماع الشهادات و المؤرخين الجزائريين منهم و الفرنسيين كان عدوان 8 ماي 1945 ، وآثاره الأليمة هو الخلفية و الأرضية التي هيأت لقيام الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954، لأن العناصر الوطنية الشابة التي عايشت و عاينت وعانت من المجازر الرهيبة هي التي تولت التخطيط و التنظير و التحضير المادي لتفجير الثورة الجزائرية،على العكس تماما مما قاله قائد القوات الفرنسية الجنرال هنري دوفال مطمئنا حكومته على أن الضربات القوية التي تلقاها الجزائريون خلال العدوان ستمنح فرنسا عشر سنوات من الهدوء و الاستقرار.

5-1 توصيف العدوان العسكري الفرنسي في الكتابات الجزائرية و السورية.

اختلف توصيف العدوان العسكري الفرنسي في الجزائر كما و نوعا عن توصيف نظيره على سوريا .

فيما يتعلق بالثامن ماي اختلفت المراجع الجزائرية والأجنبية سواء بشأن تغطية وقائعه أو تحليل أسبابه وتقدير نتائجه ولكن جميعها

[1] شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 352-353.

اتفقت حول أهمية الحدث وتأثيراته على مسار العلاقات الجزائرية-الفرنسية. و أطلقت نعوت مختلفة على تلك الأحداث ، حيث وصفها البعض بالانتفاضة أو الثورة الفاشلة في حين وصفها البعض الآخر بالصدامات والمجازر و الاضطرابات و أعمال الشغب . واكتفى فريق ثالث بوصفها على أنها مظاهرات أو مجرد أحداث تاريخية، كل حسب موقعه وموقفه وخلفياته الإيديولوجية والسياسية.وعلى سبيل الحصر:

- اندري نوشي يصفها في "ميلاد الوطنية الجزائرية 1914-1954،على أنها هياج شعبي أو فتنة أو شغب ، في حين اعتبرها شارل أندري جوليان في كتابه " إفريقيا الشمالية تسير" وشارل روبير أجرون في كتابه " تاريخ الجزائر المعاصرة " اضطرابات و صدامات.

- أما روجي لوتورنو في كتابه " التطور السياسي لإفريقيا الشمالية المسلمة 1920-1961"، فيرى أنها وثبة و عصيان أو انتفاضة.

- أبو القاسم سعد الله في كتابه" الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945" ، الى تجنب صيغة الجمع واعتبرها حادثة8 ماي و ليس حوادث أو أحداث كما فعل غيره من الدارسين.

- أما عيناد رضوان تابت في مؤلفه " 8ماي 1945 في الجزائر"، تميز عن غيره بوصفها على أنها حرب إبادة استهدفت الشعب الجزائري،

- اكتفى محفوظ قداش في كتابه المذكور سابقا بتسميتها

مظاهرات8ماي وهو الشكل الذي بدأت الأحداث[1] .

مهما تباينت التسميات و الآراء ، فانه يمكننا أن نتوصل إلى وضع تصنيف على النحو التالي :

- السياسيون والعسكريون والمؤرخون المنحازون للدولة الفرنسية : ركزوا على محاولة تقزيم الأحداث و تحميل الجزائريين تبعاتها على أساس أنهم المتسببين فيها.
- وفئة ثانية(فرنسيين و جزائريين): هؤلاء حاولوا تتبع الأحداث وجذورها ومجرياتها بنزاهة وموضوعية قدر الإمكان وهو أمر غاية في الصعوبة عند التعاطي مع المسائل التاريخية و السياسية .فالجزائريون منهم تموقعوا بجانب أبناء وطنهم باعتبار أنهم كانوا الأضعف و الأكثر تضررا. أما الفرنسيون فمنهم من حمل المسؤوليات الى كلا الطرفين ومنهم من انساق وراء المنهج الوصفي التقريري وتعميم الضرر و استخلاص فكرة طي صفحة الماضي والنظر نحو المستقبل.ومما لا شك فيه أن موضوع العدوان العسكري الفرنسي على الجزائريين قد أسال الكثير من الحبر على صفحات الجرائد آنذاك ، وشكّل مادة دسمة لكثير من التقارير الإدارية و الدراسات اللاحقة .

و من رحم الفاجعة و الألم، تفجرت ينابيع الإبداع الأدبي و الفني نثرا و شعرا .

[1]التوصيفات باللغة الفرنسية : شغب=émeute ، انتفاضة= soulèvement, insurrection، أحداث=événements، حرب إبادة=génocide.

و لعل ما جادت به قريحة الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الشأن هو – في تقديري – واحد من أفصح و اصدق تلك الإبداعات حول 8 ماي حين كتب يقول:

« يـوم مظلـم الجوانـب بـالظلم ، مطـرّز الحواشـي بالـدماء المطلولـة ، مقشـعرّ الأرض مـن بطـش الأقويـاء ، مبـتهج السـماء بـأرواح الشـهداء، خلعـت شمسـه طبيعتهـا فـلا حيـاة ولا نـور، و خـرج شـهره عـن طاعـة الربيـع فـلا ثمـر ولا نـور ، و غبنـت حقيقتـه عنـد الأقـلام فـلا تصـوير و لا تـدوين.....وفي لحظـة واحـدة تسـامع العـالم بـأن الحـرب انتهـت مسـاء أمـس ببـرلين، وابتـدأت صـباح اليـوم بـالجزائر وفيمـا بـين خطـرة البـرق ، بـين الشـرق و الغـرب ، أعلنـت حـرب مـن طـرف واحـد، وانجلـت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزّل الضعفاء .

ومن يكون البادئ يا ترى ؟ ألضعيف الأعزل، أم القوي المسلّح ؟.....

يـا يـوم ...لـك في نفوسـنا السـمة التي لا نمحى، والـذكرى التي لا تنسـى، فكـن مـن أيـة سـنة شـئت فأنـت الثـامن مـاي وكفـى. وكـل مـا لـك علينـا مـن ديـن أن نحيي ذكـراك ، وكل مـا علينـا لـك مـن واجـب أن نـدوّن تاريخـك في الطـروس لـئلا يمسـحه النسـيان من النفوس[1] »

[1]مجلة الذاكرة، المرجع السابق، ص 5- 8، نقلا عن " عيون البصائر" دون ذكر العدد أو التاريخ.

وكان الشاعر الجزائري محمد العيد ال خليفة صادقا بليغا في التعبير عن المأساة في قصيدته : " لا انسى" حين قال في بعض أبياتها:

" أأكتم وجدي أو أهدئ إحساسي **** و(ثامن ماي) جرحه ما له
وأرقب ممن أحدثوه ضماده **** وهم في جماح لم يميلوا لإسلاس
فظائع (ماي) كذّبت كل مزعم **** لهم و رمت ما روّجوه بإفلاس
و يا أيها الشعب المروع لا تضق **** بدنياك ذرعا و اطّرح خلق الياس
وقل للذي آذاك لا وصل بيننا **** وموعدنا العقبى فما أنا بالناسي "[1]

وباللغة الفرنسية أيضا تألق و أبدع الكثير من الأدباء و الشعراء الجزائريين في تصوير المأساة و تخليد ذكراها مثل مالك حداد وكاتب ياسين واسيا جبار و غيرهم.[2]

هذا و قد استغلت الصحف التابعة للحركة الوطنية ذكرى المجازر لشحذ الهمم و تخليد تضحيات شهداء الثامن ماي 1945.

لقد قامت صحيفة الأمة، لسان حال حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عددها الصادر يوم 29افريل/نيسان 1949 بنشر صور لشهداء 8 ماي و عنونتها بالآية الكريمة:« ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله ، أمواتا بل إحياء عند ربهم يرزقون» . ثم أردفت:" الإبطال ، ضحايا سطيف و....تضحياتنا لا تنته ، إلا حين تتخلص بلادكم من الامبريالية الفرنسية ، أيها المعتقلين الأبرياء لقالمة وخراطة لا تيأسوا سيأتي يوم تتم فيه، محاكمة الذين

[1]ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د . ت)، ص 325 - 327 .

[2] انظر رضوان عيناد تابت، المرجع السابق، ص 192-195 .

ينفـذون أحكـام الإعـدام ، والـذين يعـذّبونكم. شـهداء الجزائـر استريحوا بسلام، لقـد اقسـمنا على أن نحـارب ، إلى اليـوم الـذي تشرق فيه شمس الاستقلال الوطني على قبوركم"[1]

و كتبت صحيفة المغرب العربي، من جهتها في عـددها الصـادر يوم 19ماي/ايار1949، ما يلي:

" شـعب مـزج دمـه ، بـدم المناضـلين سـقيا لغـرس الحريـة فكـان الثمـر الـذي جنـاه ، الحريـة لغيـره والعبوديـة لنفسـه، شـباب رمـى بنفسـه إلـى النـار للقضـاء علـى الطغيـان، فكـان جـزاؤه إحـراق آبائـه و أمهاتـه و إخوانـه و أخواتـه ، ومسـاكنه ومزارعـه...، يـا يـوم لـو كنـت مـن النـاطقين لأخرسـك الأسـى أمـام هـذا اللـؤم ، وكيـف لـو أنـت رأيـت تلـك الصـدور ، التـي اسـتهدفت للرصـاص النـازي لتحريـر فرنسـا ، تصـبح هـدفا لرصـاص الاسـتعمار الفرنسـي ، مـا تقـول يـا يـوم عـن السـلب و النهـب ، وإلقـاء الأجسـاد البشـرية فـي الأفـران و إحراقهـا بالنيران.

- مـا تقـول يـا يـوم عـن قطـع الأيـادي التـي قطعـت شـر النازية ؟
- مـا تقـول يـا يـوم عـن الحكـم بالأعمـال الشـاقة علـى نفـوس تحملت الشقاء، في سبيل تحرير فرنسا ؟
- مـا تقـول يـا يـوم عـن الحكـم بالإعـدام، على رؤوس قـد خلصـت رؤوس الفرنسيين من الإعدام ، و رفعتها بين رؤوس الأمم؟

[1]عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص187.

- ما تقول يا يوم عن الحكم بالسجن، على رجال حرروا رجال فرنسا من السجون النازية؟....."[1]

ولا يخفى على احد أن موضوع ذلك العدوان والممارسات الاستعمارية لازال إلى يومنا يلقي بظلاله على العلاقات الفرنسية - الجزائرية. فالجزائر تدعو إلى الاعتراف وتصنيف مجازر 8 ماي كجرائم حرب و جرائم ضد الإنسانية، طبقا للقانون الدولي، و كذلك متابعة مرتكبيها قضائيا و تعويض ضحاياها ماليا والاعتذار لهم معنويا . غير أن فرنسا الرسمية، لم تكتف بعدم التعاون حول هذا الملف، بل أصدر مشرعوها سنة 2005، قانونا يتحدث عن « فضائل الاستعمار » و يتحدى الضحايا الأبرياء ... و القيم الإنسانية. هذا هو الوجه الآخر لفرنسا الثورة و حقوق الإنسان و الديمقراطية . التي أقامت الدنيا لما لحق بالأرمن و الأكراد في تركيا وسوريا و العراق وإيران كأقليات مضطهدة و عارضت مجرد الاعتراف و الاعتذار لما ألحقته من اضطهاد لشعب بأكمله. صدق الشاعر حين قال:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر*** وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر!!

إذا كانت الأدبيات السياسية و الدراسات التاريخية قد تباينت كثيرا في توصيف العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر، فإن ذلك التباين لم يكن جليا بالنسبة للعدوان العسكري الفرنسي على سوريا.

[1] عبد السلام عكاش، المرجع السابق ، ص185.

في كتابات السوريين أطلق اغلبهم صفة العدوان أو الاعتداء الفرنسي ، وذهب آخرون إلى نعته بـ " مجزرة البرلمان" كما هو الشأن في بعض كتابات الأستاذ وليد المعلم[1]. وانفرد الدكتور و الدبلوماسي نجيب الارمنازي[2] الذي عايش الإحداث و أرّخ لها، بوصفها " المعركة النهائية" أو" الفاصلة" فكان التوصيف في محله لأن العدوان كان فعلا بداية النهاية للاحتلال الفرنسي. وتردد لدى كثير من السوريين في مؤلفاتهم و مقالاتهم ربط أو حصر العدوان على البرلمان أو دمشق فقط في حين أن الدلائل و الشهادات التاريخية تؤكد أن الهجوم على البرلمان بالفعل كان ضربة انطلاق العدوان فقط. إلا انه كان في الحقيقة أكثر شمولية . و استهدف الكثير من المباني الرسمية الأخرى و المستشفيات مثل" مستشفى التجهيز للبنات ومستشفى أمراض العيون ومركز التوليد ونقطة الحليب ومركز الإسعاف"[3]... و السجون مثل سجن القلعة. و إذا كان صحيحا كذلك أن دمشق تعرضت أكثر من غيرها للخراب و الدمار فقد طالت نيران المدفعية والقذائف الفرنسية مدن سورية أخرى عديدة، كما ذكرنا سابقا.

عموما قد كان الاعتداء الفرنسي على سوريا مادة أولية للكثير من الكتابات التاريخية و السياسية والإعلامية و الإعمال الفنية

[1]وليد المعلم (1941- 2020) وزير الخارجية السوري، منذ 2006/2/11 إلى وفاته.

[2]نجيب الارمنازي (1897-1968) سياسي و دبلوماسي سوري مميز كان وزيرا مفوضا لسوريا في لندن أثناء العدوان.

[3]شمس الدين العجلاني، الاعتداء الفرنسي على البرلمان، أول عمل توثيقي للاعتداء على دمشق والمجلس النيابي 1945، دار حازم، دمشق، ص 44-45.

و الأدبية رسمت الحدث بكل أبعاده واتخذت منه محور التفاف في معركة التحرير و مصدر الهام و إبداع من وحي الألم و الفاجعة.

لم أعثر على أية دراسة تربط العلاقات بين ما جرى في الجزائر و سوريا وهما تكافحان لنفس الغاية، وتتعرضان لاعتداء مستنسخ في نفس الشهر و من نفس الجهة أي الاستعمار الفرنسي وفي نفس الظروف الدولية .

ما صادفني في هذا السياق هو إشارات عابرة للمسألة الجزائرية في أوراق جميل مردم بك التي أعدتها نجلته سلمى مردم بك والتي تتلخص في تخوفات الفرنسيين من تأثير التنازلات الفرنسية في سوريا واحتمالات مساهمتها في تصعيد كفاح الحركة الوطنية الجزائرية ورفع سقف مطالبها السياسية .

تألق الشاعر السوري سلامة عبيد (1921- 1984) في وصف عدوان 29 أيار 1945في ديوانه « لهيب وطيب » وخاصة تلك القصيدة التي لازالت إلى يومنا هذا تتردد على السنة طلاب المدارس والتي عنوانها " من دمانا " جاء فيها:

" من دمانا....
أيها السفّاح من دمع اليتامى
و الايامى... اترع الكأس مداما
وأدرها بين أشلاء الضحايا
واستغاثات الثكالى و السبايا
وزئير المدفع الطاغي
وأنّات الشظايا

أترع الكأس وناولها الندامى
مـــن دمانـــا.. أيهـــا الســـقّاح مـــن دمـــع
اليتامى و الايامى
أمطر الشام حديدا ولهيبا
واستبح فيها هلالا و صليبا
واذبح المرضى ولا تخشى عذولا أو رقيبا
عذّب الأسرى و نكّل ما تشاء
وإذا الرعب تولاك وأضناك العياء
مـن دمانـا.. أيهـا السـقّاح مـن دمـع اليتـامى
...و الايامى
اترع الكأس مداما "[1]

كما أن هناك عروضا في مقالات الكترونية يشير بعضها إلى أن مظـاهرات شـعبية اجتاحـت المـدن السـورية ودمشـق على وجـه الخصوص ، يوم الثامن ماي 1945 والأيام اللاحقة حين وصلت إلى أسـماع السـوريين أنبـاء مـا جـرى مـن اعتـداءات ضـد المتظـاهرين الجزائريين. و حسب نفس المقالات قام بتأطير هذه المظاهرات بعض السوريين من أصول جزائرية وقد واجهتهم القوات الفرنسية بعنف شـديد و اتخـذت الإدارة الاسـتعمارية ضـدهم عقوبـات قاسـية كتجميد مرتبات الموظفين منهم في المصالح الرسمية جزاء تضامنهم و احتجاجهم على ما كان يجرى في الجزائر. وهو الأمر الذي يؤكده

[1]حسان بدر الدين الكاتب، مع الشاعر الأديب سلامة عبيد، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 748، يوم 2001/02/24.

الصحفي و الباحث سهيل الخالدي في كتابه" الإشعاع المغربي في المشرق": «وكانت الصحف الدمشقية تنشر أخبار الجزائر ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية و جمعية العلماء الجزائريين مستقاة من جمعيات الجزائريين في الشام ، التي اختارت يوم الثامن ماي من كل سنة يوما للتضامن مع نضال المغرب العربي»[1] ودائما حسب نفس المرجع : « كتبت جريدة الأحرار الدمشقية بتاريخ 4سبتمبر/أيلول 1946 تحت عنوان " أحفاد الأمير عبد القادر يحرمون من مخصصات أسرتهم" و أوضحت بعد استعراض إخلاص ووفاء الجزائريين لسورة أن سبب قطع المرتبات يعود لأن الأمير سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر وعميد الأسرة قد أذاع بيانات يؤيد فيها مطالب الجزائريين الوطنية و يدعوا فرنسا إلى الاستجابة لها و يهب بالجامعة العربية بأن تقف بجانب الوطنيين من أبناء قومه»[2] جاء كذلك في إحدى المقالات الالكترونية أن الرئيس السوري شكري القوتلي – الذي كان على سرير المرض خلال أيام العدوان – اضطر إلى الموافقة على طلب تدخل القوات البريطانية لوقف العدوان الفرنسي رغم علمه بالمخاطر السياسية الناجمة عن تلك الموافقة والتي من شأنها تقوية مركز بريطانيا ورهن مستقبل سوريا بهذه العلاقة ،لأنه كان يخشى من أن يتكرر

[1]سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام،ط1، دار الأمة للطباعة و الترجمة و التوزيع و النشر، الجزائر1997، ص 150.

[2]نفسه.

سيناريو الجزائر و تكون فاتورة الضحايا و الخراب في سوريا اكب [1].

في الجهة المقابلة لم تكن سوريا أو المسألة السورية أوفر حظا في الكتابات الجزائرية التي اطلعت عليها و لم تحظ بأكثر من مجرد تلميحات عارضة في سياق الحديث عن المحنة المشتركة بين سوريا و الجزائر وممارسات الإدارة الاستعمارية الفرنسية في كليهما باستثناء ما أورده الفضيل الورتلاني في كتابه " الجزائر الثائرة" والذي أشار في طياته إلى الاتصالات والمراسلات التي أجراها مع السوريين في إطار نشاطه ضمن جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا وذلك بعد جلاء الفرنسيين عن سوريا ثم تتولى بعد ذلك لجنة تحرير المغربي العربي و بعض أعضاء جمعية العلماء الجزائريين، كالبشير الإبراهيمي، في المشرق دعم كفاح الجزائر و تعزيز الروابط القومية والنضالية بين المشرق والمغرب العربيين.

و كثيرة هي الصحف السورية التي تناولت العدوان و آثاره الأليمة.إن جريدة القبس، على سبيل المثال، تطرقت للموضوع طوال شهرين متتالين في مجموعة من الافتتاحيات اللاهبة . لقد ورد في افتتاحية العدد الصادر يوم 29ايار 1945 " حربان في الدنيا ؟ الأولى ضد العدوان و الأخرى ضد الحرية . الحلفاء يحاربون اليابان وفرنسا تحارب السوريين" [2] وفي عدد لاحق كتب الصحفي

[1]http://www.planetenonviolence.org/Comment-De-Gaulle-a-Sabote-le-Plan-Britannique-de-la-Grande-Syrie-et-Favorise-la-Creation-de-l-Entite-Sioniste_a1474.html

[2]جوزيف الياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام 1865-1968، ج2، دار النضال

نجيب الريّس: " انهزموا في بلادهم فجاءوا يحاولون النصر في بلادنا.... انتقموا من السوريين بدلا من الألمان وانتصروا في دمشق عوضا عن برلين بل عوضا عن باريس التي لم يدافعوا عنها.....لو أنّ ما صبوه على دمشق من قذائف ورصاص وقنابل صبوه على الألمان في معركة واحدة لكانوا سجلوا لأنفسهم شرف الثبات أمام العدو مدة الثماني والأربعين ساعة التي ثبتوا بها في دمشق....." [1]

للنشر و التوزيع، بيروت، 1983، ط1، ص 62.

[1]نفسه.

الخاتمة.

كانت السياسة الاستعمارية رغم اختلاف أشكالها ومسمياتها بين الانتداب على سوريا و الاحتلال للجزائر إلا أنها واحدة في ممارساتها الجوهرية. لقد استخدمت فرنسا مختلف الأساليب و الوسائل لتحقيق نفس الأهداف هنا وهناك فقد أمعنت في استغلال خيرات و طاقات الجزائريين و السوريين ، وتفكيك البنى الاجتماعية في البلدين و تكريس العنصرية بتأكيد تفوّق الرجل الأوربي و دونية الرجل العربي. ولم تدّخر جهدا في تشويه مقوّمات الشخصية العربية و فرض نمط المعيشة و القيم الأوربية . كما عملت على نهب الكنوز الحضارية للبلدين و ربط اقتصادياتهما بالاقتصاد الفرنسي. وكمّمت أفواه الناس و زرعت الرعب في نفوسهم، ولم تتوان في سبيل تحقيق أغراضها الاستعمارية في شن الحروب على السكان.

بالرغم من كل الممارسات الهمجية و العنيفة لم تنجح فرنسا في تركيع الجزائريين و السوريين وعلى العكس مما كانت تتوقّعه فرنسا، فقد كانت تلك الممارسات مدعاة للتفكير وممارسة المقاومة و حافزا قويا للقيام بردود فعل وطنية لمواجهة الظلم و الطغيان الاستعماري الفرنسي، وهو ما أثبتناه في الفصل التمهيدي من خلال الحديث عن ملاحم و بطولات المقاومة الشعبية السورية بعد

دخول الانتداب الفرنسي حيّز التنفيذ. و رغم فشل تلك المقاومات التي ساهم فيها ابناء الهجرة الجزائرية، لم يستسلم السوريون لتبدأ المقاومة السياسية بقيادة «الكتلة الوطنية » التي فرضت على فرنسا الكثير من التنازلات وانتزعت منها بعض المكاسب المرحلية.

لم يختلف ذلك الوضع كثيرا في الجزائر التي عرفت في نفس الفترة – أي خلال فترة ما بين الحربين – دائما بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية و كذلك بفضل الخبرات و التجارب و الدروس التي استخلصها الجزائريون من مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى انطلقت المقاومة السياسية النخبة الجزائرية التي برز فيها نجم الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الذي واجه فرنسا و أتباعها. ثم ظهر بعد ذلك حزب نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج والذي يعتبر أول حزب جزائري ينادي صراحة بالاستقلال . لما قررت فرنسا الاحتفال بمئوية الاستعمار الفرنسي ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس، رافعة شعار " الجزائر وطننا و العربية لغتنا و الإسلام ديننا " و التي ساهمت في تحصين الشخصية الجزائرية و الدفاع عن مقوّماتها الأساسية ضد سياسة فرنسا وأعوانها من دعاة الإدماج .

و يكفي الاستشهاد بأبيات من القصيدة الرائعة للإمام بن باديس " شعب الجزائر مسلم " و التي يقول في مطلعها :

شَعْبُ الجـــزائرِ مُسْلِم وَإلـــىَ العُروبةِ يَنتَسِـبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذبْ
أَوْ رَامَ إدمَـــاجًا لَـــه رَامَ المـــُحَال من الطَّلَبْ

ساهمت الجمعية رفقة النواب، و الشيوعيين في تنظيم أول تجمع سياسي جزائري سمّي « المؤتمر الإسلامي الجزائري » سنة 1936 و الذي يعتبر بحق – في زمانه و ظروفه – قفزة سياسية نوعية هامة على صعيد التنسيق و التشاور بين مختلف أجنحة النخبة السياسية الجزائرية.

لقد استغلت كل من الحركة الوطنية السورية و الجزائرية هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية و ما رافقها من انقسام في القيادة الفرنسية للضغط و التأكيد على المطالب الوطنية. ولمسنا كيف تعزز هذا التوجّه بعد دخول البلدين معترك الحرب كساحات للقتال مع دخول قوى التحالف الانجلو- أمريكي إلى أراضي البلدين . إن تلك القوى همشت الدور الفرنسي ولعبت ورقة الانقسام بين القيادة السياسية و العسكرية الفرنسية فشكّلت بذلك عاملا مساعدا على الصعيد السياسي. كما إن تلك القوى قد روّجت على نطاق واسع لفكرة « حق الشعوب في العيش تحت الحكومة التي تريدها» التي تضمنها ميثاق الأطلسي.

تغيرت موازين القوة لصالح الحلفاء بصفة عامة ولصالح الولايات المتحدة بصفة خاصة، على حساب تراجع الألمان و الايطاليين على مستوى المنطقة العربية ولاسيما في سوريا و الجزائر . إن إقصاء قوات المحور من الشرق الأدنى و شمال إفريقيا على أيدي قوى التحالف الانجلو-أمريكي زاد في شعور الغبن لدى الفرنسيين و شعور الغبطة لدى السوريين و الجزائريين .

أما الفرنسيون فأصبحوا يخشون من وقوع عملية زحزحة واستخلاف على حسابهم و هو ما أدّى إلى احتدام الصراع الانجلو-فرنسي في سوريا والصراع الفرنسي-الأمريكي في الجزائر بحكم الأهمية الاستراتيجة للمنطقة بالنظر إلى المصالح البريطانية فيها، وفي الجزائر بحكم الأهمية السياسية الكبيرة التي اكتسبتها خلال الحرب.

وأما عن الجانب الجزائري و السوري ، فقد أخذت حركتاهما السياسيتان تستغلان ذلك الظرف المتميز بتعدد المتنافسين والمتنازعين للفوز بحكم بلادهما طبقا لميثاق الأطلسي .

غير أن الذي حصل في النهاية هو تمكّن الجنرال ديغول و حركته من فرض نفسهما على كافة الجهات الأخرى بصفتهما يجسدان عمليا الممثل الوحيد لفرنسا داخل أراضيها و على امتداد إمبراطوريتها.

وفي الأخير استغلت فرنسا ظروف نهاية الحرب العالمية الثانية لاستعادة مكانتها في عيون شعبها و في عيون حلفائها عبر اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية .

فكان العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر في بداية شهر ماي ثم على سوريا في أخره. كانت الحرب قد انتهت في برلين لكنها بدأت في سطيف و قالمة و خراطة و دمشق و حمص وحماه .

العدوان شمل – عكس ما يشاع - عددا كبيرا من المدن الجزائرية و السورية ولو أنها كانت اعنف في سطيف و قالمة و خراطة و دمشق. وكانت حصيلة العدوان ضخمة المادية منها و خاصة البشرية، وبالأخص بالنسبة للضحايا الجزائريين الذين

كان عددهم بالآلاف. وكان للعدوان أصداء دولية على المستويين الإقليمي والدولي خدمت الشعبين السوري و الجزائري.

على العموم بدا لنا أن المسألة السورية حظيت باهتمام اكبر من كل الأطراف لاعتبارات سياسية و إستراتيجية ناتجة عن ملابسات الحرب من جهة ، و لحسابات استباقية لمستقبل المنطقة بعد الحرب من جهة أخرى. لقد شاركت حكومتا سوريا ولبنان في تأسيس الجامعة العربية و قبلت هيئة الأمم المتحدة عضويتهما فور تكوينها.

أما المسألة الجزائرية فقد اعتبرها التحالف الانجلو- أمريكي مسألة فرنسية داخلية، وكذلك الشأن بالنسبة للسوفيات . أما الجامعة العربية فإنها حمّلت الأمريكيين مسؤولية المجازر التي ارتكبتها قوات الاحتلال الفرنسي في حق الجزائريين على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أعادت الجزائر لحكم الفرنسيين.

على العموم لاحظت أن التوصيفات التي أطلقت على ذلك العدوان ، فقد حصل فيه شبه تقارب في توصيف العدوان العسكري الفرنسي على سوريا فسمّي بالاعتداء أو العدوان و المجزرة كحد أعلى، بالمقابل نجد الاختلافات كبيرة في وصف العدوان على الجزائر، فهناك من سمّاها مجرّد أحداث وأعمال شغب في حين سمّاها آخرون ثورة أو حرب إبادة .ولقد كان العدوان أيضا مصدر الهام ومادة أولية خصبة للكثير من الأعمال الأدبية و الفنية التي أرّخت للوقائع و خلّدت الذكرى الأليمة ولمحاربة آفة النسيان .

من جهة أخرى كان ولازال ذلك العدوان الهمجي محل دراسات سياسية و تاريخية جزائرية و سورية و أجنبية توجّهها رغبات الباحثين في الكشف عن مزيد من الحقائق و إجلاء الملابسات كلما أفرجت الإدارة الفرنسية عن أجزاء جديدة من الوثائق المتعلقة بالموضوع، هذا علاوة على اهتماماتهم من جهة وتحكّم الإدارة الفرنسية في أرشيف الوثائق المتعلقة بالموضوع من جهة أخرى، ولا يزال الدارسون و الباحثون يبذلون مجهودات جبارة على المستوى العلمي،و السياسيون على المستوى الرسمي لدفع الإدارة الفرنسية إلى الإفراج على ما تبقّى من الحقائق التاريخية المدفونة عند المستعمر السابق .

الملاحق

الملحق رقم (01- أ) بعض الشخصيات الجزائرية التي ورد ذكرها في البحث. (المصدر: موسوعة ويكيبيديا)

الامير خالد الجزائري

عبد الحميد بن باديس

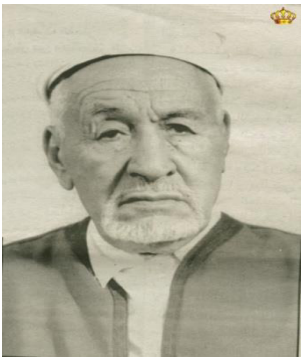

البشير الابراهيمي

الملحق رقم (01-ب) بعض الشخصيات الجزائرية التي ورد ذكرها في البحث. (المصدر: موسوعة ويكيبيديا)

فرحات عباس

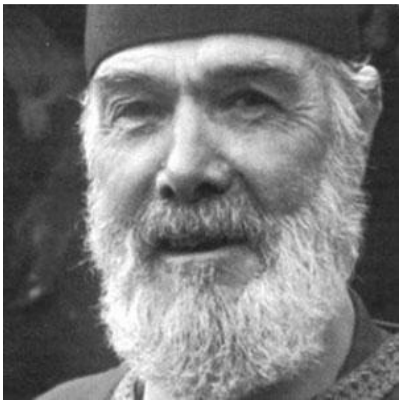

مصالي الحاج

(الملحق 02-أ) مناطق إنزال شمال إفريقيا(المصدر: ويكيبيديا)

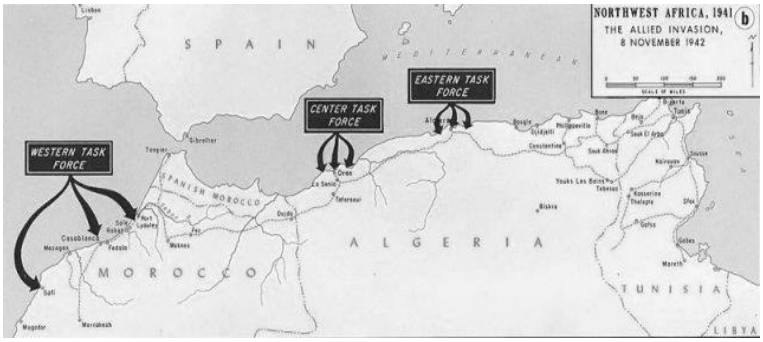

(الملحق 02-ب) نزول القوات الانجلو-امريكية في وهران(المصدر: ويكيبيديا)

الملحق رقم (03):القوات البحرية الفرنسية المشاركة في القصف

الملحق رقم (03):قوات الطيران الفرنسي المشاركة في القصف.

الملحق رقم (04):تجمع شعبي قبيل بداية المظاهرة في سطيف بالجزائر.

الملحق رقم(05-أ): ضحايا مجازر 8 ماي في الجزائر.

الملحق رقم(05-ب): الأعمال الإجرامية للميليشيات المدنية الفرنسية في قالمة بالجزائر.

الملحق رقم(06-ج): الجزائريون في المحتشدات.

الملحق رقم(06- د): جزائريون في المحتشدات (المصدر: قرص مضغوط إصدار وزارة المجاهدين)

الملحق رقم(07): المجال الجغرافي للعدوان على الجزائر، (المصدر:عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص224)

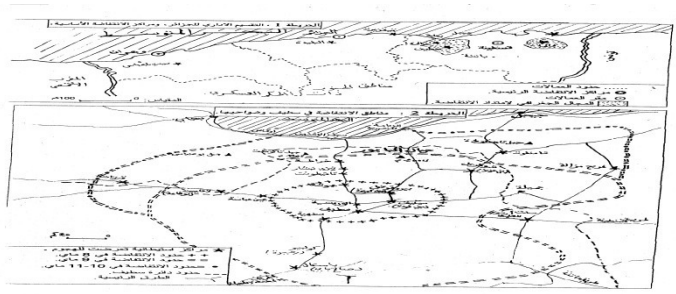

الملحق رقم(07): المجال الجغرافي للعدوان على الجزائر (المصدر:عبد السلام عكاش، المرجع السابق، ص225)

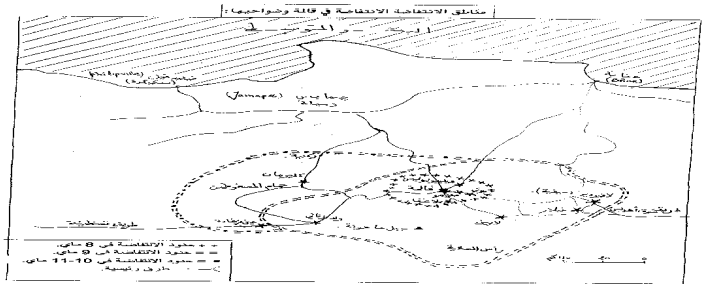

الملحق رقم(08): التقسيم الإداري الحديث لسوريا (المصدر: موسوعة ويكيبيديا)

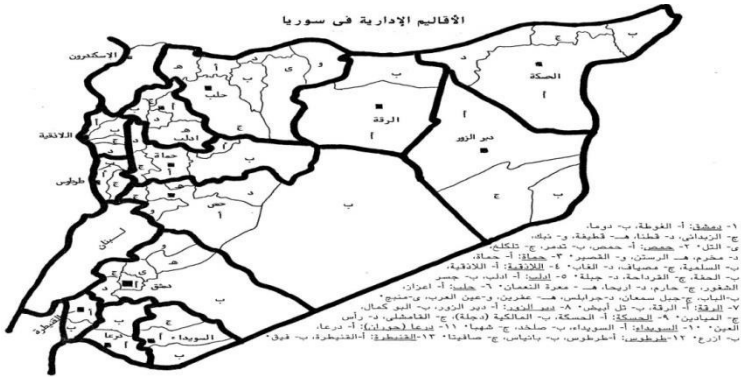

الملحق رقم(10-أ):شخصيات الكتلة الوطنية و توقيع معاهدة 1936(المصدر:نجاة حسن قصّاب، المرجع، ص505.

الملحق رقم(10-ب): الوفد السوري أثناء توقيع معاهدة 1936(المصدر: موقع تاريخ سوريا)

الملحق رقم(11- أ) بعض الشخصيات السورية التي ورد ذكرها في الكتاب، (المصدر: موسوعة ويكيبيديا).

سعدالله الجابري

فارس الخوري

جميل مردم بك

الملحق رقم(11- ب) بعض الشخصيات السورية التي ورد ذكرها في الكتاب، (المصدر: موسوعة ويكيبيديا).

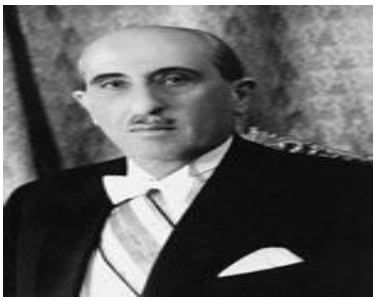

شكري القوتلي

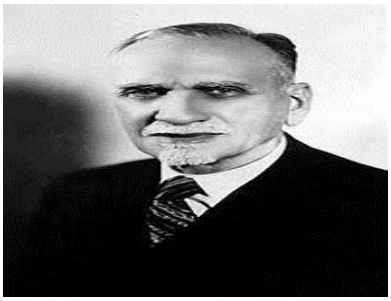

هاشم الاتاسي

الملحق رقم(12): المجال الجغرافي للعدوان على سوريا، (انجاز الباحث)

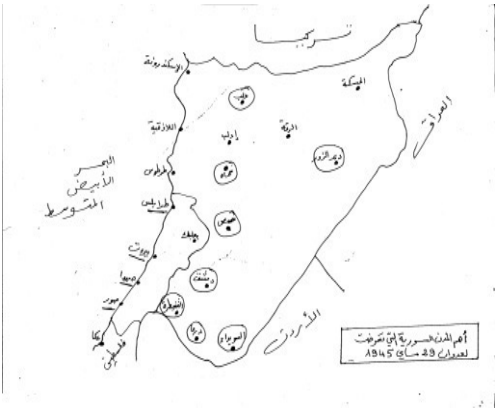

الملحق رقم(13- أ): شخصيات فرنسية و بريطانية ذات صلة بالموضوع مع الرئيس السوري (المصدر:موسوعة ويكيبيديا)

على التوالي الجنرال كاترو،الجنرال ديغول ، الرئيس تاج الدين الحسني.

الملحق رقم(13- ب): شخصيات فرنسية و بريطانية ذات صلة بالموضوع مع الرئيس السوري (المصدر:موسوعة ويكيبيديا)

الجنرال كاترو و الجنرال ادوارد سبيرس.

الملحق رقم(14- أ):مبنى البرلمان قبل القصف(المصدر: موسوعة ويكيبيديا)

الملحق رقم(14- ب):مبنى البرلمان بعد القصف(المصدر:شمس الدين العجلاني، ص79)

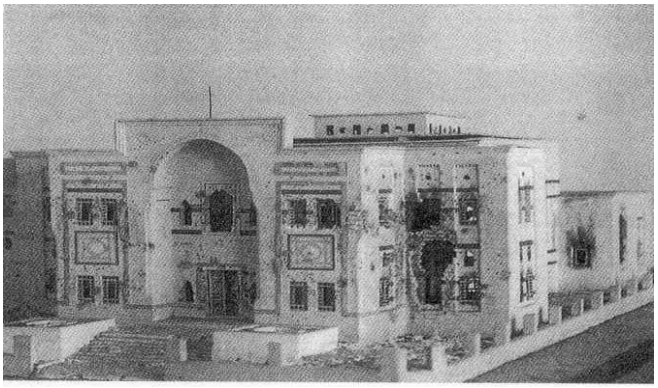

الملحق رقم(15):بعض آثار العدوان القصف الفرنسي(المصدر: ش.العجلاني،ص 94 و95-98 و99)

المدخل الرئيسي لمبنى المجلس النيابي
اخذت هذه الصورة بعد اعتداء المستعمر على البرلمان مباشرة

الواجهة الرئيسية لمبنى المجلس النيابي
أثر اعتداء المستعمر الفرنسي

الملحق رقم(16): آثار العدوان على البرلمان السوري وتدمير سجن القلعة ((المصدر: ش.العجلاني،ص 97)

قاعة اجتماعات المجلس النيابي بعد أن دمرها المستعمر
٢٩ أيار (١٩٤٥)

تدمير سجون القلعة في دمشق اثناء العدوان الفرنسي على دمشق ٢٩ايار ١٩٤٥

الملحق رقم(17): صور و قائمة شهداء البرلمان السوري(المصدر: ش.العجلاني، ص90 و 93)

لوحة تذكارية لأسماء شهداء البرلمان السوري

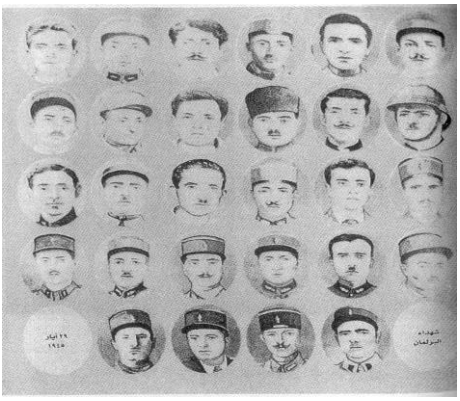

الملحق رقم(18): جثث بعض شهداء البرلمان السوري(المصدر: ش.العجلاني، ص100 و101)

جثث شهداء البرلمان . . .

إحدى جثث شهداء البرلمان . . .

الملحق رقم(19- ب): شخصيات فرنسية ذات صلة بالموضوع(المصدر: موسوعة انكارطا2009)

الماريشال فيليب بيتان

الجنرال شارل ديغول

الجنرال جورج كاترو

الجنرال هنري جيرو

الملحق رقم(20): شخصيات أمريكية ذات صلة بالموضوع(المصدر: موسوعة انكارطا2009)

الجنرال دوايت إيزنهاور

الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت

الملحق رقم(21): شخصيات بريطانية ذات صلة بالموضوع(المصدر: موسوعة انكارطا2009)

ونستون تشرشل

برنارد مونتغمري

الملحق رقم(22): شخصيات ألمانية ذات صلة بالموضوع(المصدر: موسوعة انكارطا2009)

الجنرال اروين رومل

أدولف هتلر

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع والمصادر:

1- المصادر و المراجع باللغة العربية .

أولا: المصادر:

1- تقي الدين، منير، الجلاء، وثائق خطيرة تنشر لأول مرة، دار بيروت، بيروت،1956

2- التلاوي، سعيد، كيف استقلت سوريا، مطابع مجلة الدنيا، دمشق،1951

3-الجابري، رياض، سعد الله الجابري وحوار مع التاريخ (أوراق مضيئة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006

4-الحكيم، حسن، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتدابي الفرنسي 1915- 1946، دار صادر، بيروت، 1974

5- الدعواق،كامل، دمشق تسبح بالدماء!؟! او ايار 1945والعدوان الفرنسي،اسرار لم تنشر منقبل، بيروت، ط1، بدون ناشر، (د.ت).

6-ديغول، شارل، مذكرات الحرب،الخلاص 1944-1946،ترجمة خليل هنداوي وإبراهيم مرجانة، منشورات عميدات،بيروت، 1981.

7- الشوا، زهير، دماء وجلاء (دمشق، جبل الدروز، الفرات، الجزيرة....) مطبعة الإتقان، دمشق 29 أيار 1946.

8- عباس، فرحات، حرب الجزائر وثورتها ،ليل الاستعمار، تعريب ابوبكر رحال، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، (د.ت).

9- العجلاني، شمس الدين، الاعتداء الفرنسي على البرلمان،أول عمل توثيقي للاعتداء على دمشق والمجلس النيابي 1945، دار حازم للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق(د.ت).

10-القوتلي، شكري، شكري القوتلي يخاطب أمته" مختارات من خطبه وبياناته، الطبعة الثانية، مكتبة الفجيرة الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

11- مؤلف مجهول، عدوان فرنسا على سوريا أيار/حزيران 1945، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، .1945

12- محمد سعيد، الأمير، حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي، الطبعة الثانية، طباعة دار اليقظة العربية بيروت، نشر دار و مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة، مرازقة وبوداود وشركائهما،الجزائر،.1968

13- مردم بك، سلمى، استقلال سوريا (أوراق جميل مردم بك)، ط1،شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت، 1994.

ثانيا:المقالات والرسائل الجامعية باللغة العربية.

1- حسان، بدر الدين الكاتب، مع الشاعر الأديب سلامة عبيد، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 748، يوم 2001/02/24.

2- بلاوني، مصطفى، الأحزاب السياسية في سوريا 1920-1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة دمشق، 1985 .

3- شرف الدين،احمد رضوان، جامعة الدول العربية و قضايا تحرير المغرب العربي 1945-1962، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1983.

4-عكاش، عبد السلام، نظرة الصحافة الاستعمارية لانتفاضة 8 ماي 1945، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006.

ثالثا: المراجع:

1- الأرمنازي ، نجيب ، محاضرات عن تاريخ سوريا من الاحتلال الى الجلاء ، دارالكتاب العربي ، القاهرة ، 1954.

2-أشرفي، منير، تاريخ سوريا السياسي، مطبعة العصر الجديد، حلب ، سوريا، (د.ت).

3- الياس، جوزيف، تطور الصحافة السورية في مائة عام 1865-1968، ج2، ط1، دار لنضال للنشر و التوزيع، بيروت، 1983.

4- انطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان عبّاس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

5-البيطار،عبد الرحمان، تطور الوحدة السورية اللبنانية من نشوب الحرب العالمية الثانية إلى ما بعد الاستقلال 1939- 1950، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998.

6-جوليان، شارل اندري، افريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم و آخرون،الدارالتونسية للنشر،وسناد، تونس،1976.

7-الجيلالي، عبد الرحمان،ج3، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة، بيروت، 1980

8- حسن، قصاب نجاة، صانعوا الجلاء، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1999.

9-الخالدي، سهيل، الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام ، ط1، دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1997

10-الخالدي، محمد فاروق، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ، ط1، دار الراوي للنشر و التوزيع،الدمام،المملكة العربية السعودية ،2000

11-الخطيب،أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

12-رشاد حداد، غسان، من تاريخ سوريا المعاصر1946-1966، ط1، مركز المستقبل للدراسات الإستراتيجية، الأردن، 2001

13-رضا، علي، قصة الكفاح الوطني في سوريا سياسيا وعسكريا حتى الجلاء، المطبعة الحديثة، حلب، سوريا، 1979.

14-ريان، محمد رجائي، قضية استقلال سوريا في الحرب العالمية الثانية، دراسة سياسية، ط1،دار نور الدين، الأردن، 2003.

15-سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج3، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

16- (ـ، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945،ج3،ط3،المؤسسةالوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

17-سيل ، باتريك، الصراع على سورية، 1945-1958،ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980.

18- شنايدر،ل.لويس،العالم في القرن العشرين،ترجمة سيد عبود السامرائي،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، بدون تاريخ (النسخة الانجليزية الاصلية مطبوعة سنة 1955).

19-الشيخ، رأفت، التاريخ العربي المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر،1996.

20-صالح، نجيب، تاريخ العرب السياسي 1856/ 1956، ط1، دار إقرأ، بيروت 1985

21-طربين، أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر المطبعة الجديدة، دمشق 1986.

22-عبد الساتر، لبيب، أحداث القرن العشرين، ط4، دار المشرق، بيروت، 1983.

23- (ـ) ، التاريخ لمعاصر، ط5 ، دار المشرق ش.م.م ، بيروت، 1983.

24-العلوي، محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال و للنشر و الإشهار، الجزائر، 1994.

25-عمر عبد العزيز، عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1980.
26-الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة 1948.
27-قداش، محفوظ، 8 ماي 1945 ، ترجمة سميرة سي فضيل ، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2007.
28-كارتييه ، ريمون، الحرب العالمية الثانية 1942-1945 ، ترجمة سهيل سماحة و احمد مسعود ، ج2 ، ط2 ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، .1983
29-الكيالي، نزار، دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر1920-1950، ط1، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، دمشق ،.1997
30-محروس إسماعيل ، حلمي، تاريخ إفريقيا من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، .2004
31- محمد علي خليفة، محمد العيد، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).
32-المعلم، وليد، سوريا 1916– 1946،ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،1987
33- (ـــ) ، سوريا 1918-1958 ، التحدّي و المواجهة ، مطبعة عكرمة ، دمشق، .1985
34-الورتلاني، الفضيل، الجزائر الثائرة ، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2007.
35-ياغي، إسماعيل احمد، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1،مكتبة العبيكة، الرياض، المملكة العربية السعودية، .2000
36-(ـــ)، حركة رشيد عالي الكيلاني، دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1974.

رابعا: المعاجم والموسوعات العربية.

1- بوعمران ، الشيخ و آخرون ، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر.1995
2- الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء العاشر (سوريا)،مؤسسة هانياد، بيروت،1997
3- الزركلي، خير الدين، موسوعة الأعلام، دار العلم للملايين،ج3 ، ط5، بيروت،1980.
4- نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

خامسا: الدوريات :

1- مجلة الذاكرة، العدد 2، السنة الثانية، ربيع .1995

2- صحيفة الحرية، يوم 1946./12/29

3- مجلة ابيض واسود، الملف الكامل للأحزاب و الحركات السياسية المعاصرة في سوريا، ،سوريا ، العدد 129، 2000./5/30

4-مناصرية ، يوسف ،جريمة 8 ماي 1945 في مخططات الاستعمار الفرنسي ،مجلة المصادر، العدد 7، نوفمبر .2002

5-حمزي ، كمال ، مئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1930تظاهرات و أبعاد ، حولية المؤرخ ،الجزائر، العدد5 ، جوان 2005.

2-المصادر و المراجع باللغات الأجنبية :

1- AGERON, Ch.Robert, Histoire de l'Algérie Contemporaine, Puf, Paris,6eme édition. ,1964.

2- BENDIAB, AbderrahimTaleb, Chronologie des faits et Mouvements sociaux et politique en Algérie 1830-1954, imp. du centre, Alger, 1983.

3- CORNEVIN, R.M., Histoire de l'Afrique des origines à la 2eme guerre mondiale, petite bib Payot, paris, 1964.

4- FAIVRE, Maurice, les Combattants musulmans de la guerre d'Algérie ,éd l'Harmattan, Paris, 1995.

5- KADDACHE, Mahfoud, Histoire du Nationalisme Algérien, 1919-1951, Tome 2, sned, Alger, 1980.

6-LETOURNEAU, Roger, Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane1920-1961, lib Armand colin, Paris, 1962.

7-MAHSAS, Ahmed, le mouvement révolutionnaire en Algérie de la1ere guerre mondiale à1954, l'Harmattan, 1979.

8-NOUSCHI, André, Naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, ed de Minuit, 1962.

9- NOUSCHI, André, Les Armes Retournées, colonisation et Décolonisation françaises, Ed Belin, Paris, 2005.
10-OPPERMAN, Thomas, Le problème Algérien, François Maspero, paris, 1961.
11-TABET, Redouane Ainad, Le 8 mai 1945 en Algérie, enal/opu, Alger ,1985 .
12- MEYNIER, Gilbert, Histoire intérieure du F.L.N 1954-1962, Fayard, paris,2002.
13-Microsoft®Études 2008, Encyclopédie, Encarta, DVD.

فهارس عامة

فهرس الأعلام

ا

ابراهيم باشا · 32

اجرون شارل روبير · 22

اشياري اندري · 92

الخليفة محمد العيد · 99

الاتاسي هاشم · 31, 32, 35

الارمنازي نجيب · 8, 56, 60, 72, 77, 101

البارودي فخري · 86

البكري نسيب · 30

الجابري سعد الله · 8, 32, 34, 61, 71, 74, 86, 87

الحسيني امين · 46, 49

الحوراني أكرم · 46

الخراط حسن · 29

الخضر حسين · 91, 93

الخوري بشارة · 28, 32, 34, 38, 71, 73, 87, 92, 93, 94

الخوري فائز · 28, 32, 34, 38, 71, 73, 87, 92, 93, 94

الداماد احمد نامي بك · 30

الدعواق كامل · 87, 88

الدواليبي معروف · 30

الراشدي عثمان · 13

الريس نجيب · 38

السائح عبد القادر · 69

الشراباتي احمد · 73

الشمالي فؤاد · 31, 44

الشهابي مصطفى · 34

الشهبندر عبد الرحمان · 30, 34, 46

الصلح رياض · 15, 26, 61

العظمة يوسف · 27, 64

العقبي الطيب · 16, 19

العلي صالح · 29

الفاعور محمود · 29

القانوني سليمان · 24, 86

القاوقجي فوزي · 29

القدسي ناظم · 30, 34, 94

القوتلي شكري · 31, 32, 34,
40, 46, 60, 63, 71, 72,
73, 87, 94, 95, 103
الكيلاني رشيد عالي · 46, 49,
55
اللحام أحمد · 9, 34
المدني توفيق · 8, 16, 39, 80,
86
المعلم وليد · 28, 31, 33, 40,
50, 101
الميلي مبارك · 16
النقراشي باشا · 90
الورتلاني الفضيل · 91, 93,
104
اوزقان عمار · 18
ايزنهاور دوايت · 52
ب
باجيت الجنرال · 84, 87, 88
باينيت بول ايمينت · 74, 78,
84
بكداش خالد · 31
بلفور جيمس · 26, 27
بلوم ليون · 18, 19, 70
بن التهامي الدكتور · 19
بن جلول محمد الصالح · 14,
16, 19, 79
بن علي الحسين · 25
بونابرت نابليون · 24
بونسو هنري · 30, 31
بيتان فيليب · 38, 39, 40, 41
بيرك أوغستين · 69
بيروتون مارسيل · 68
بيكو جورج · 26, 27, 30
ت
تابت عيناد رضوان · 97, 99
تشرشل ونستون · 41, 44,
45, 47, 48, 50, 51, 56,
58, 85, 87, 88
توبير بول · 83
تيون جرمين · 83
ج
جايلز المايجر · 57
جبار اسيا · 99
جبارة حسن · 73, 108

جمال باشا · 24
جوان الفونس · 7, 16, 18, 38, 44, 46, 49, 52, 58, 63, 74, 76, 77, 87, 88, 90, 91, 94
جورج لويد · 27
جوليان شارل اندري · 83, 96, 97
جيرو هنري · 41, 52, 53, 65, 66
ح
حداد مالك · 31, 38, 99
حمصي ادمون · 34
خ
خالد بن محي الدين الامير · 14, 15, 16, 31, 70, 105
د
دارلان فرانسوا · 52
دانتز هنري · 39, 40, 49, 50
دوفال ريمون · 92, 97
دي جوفنيل · 29, 30, 31
دي فرديلاك جوزيف · 50
دي لافيجري هنري · 52
ديغول شارل · 7, 39, 41, 45, 47, 48, 52, 53, 58, 59, 60, 61, 63, 65, 66, 68, 69, 70, 74, 77, 84, 85, 87, 91, 107
ر
روزفلت فرانكلين · 42, 53, 65, 68
رومل ايروين · 42, 43, 51, 55, 60
ز
زين الدين فريد · 94
س
سايكسمارك · 26, 27, 30
سبيرس ادوارد · 60, 61, 62
ستالين جوزيف · 51, 91, 92
سعادة انطوان · 31
سعدالله ابو القاسم · 17, 32, 37, 39, 61, 66, 69, 70, 71, 87
سعدان الدكتور · 19, 81

ش
شون تيرانس · 62, 63
شياب جون · 39
ص
صولود دانيال · 92
ع
عباس فرحات · 14, 16, 19, 21, 37, 40, 41, 65, 66, 68, 69, 70, 78, 79, 80, 81
عبد القادر الامير · 3, 14, 15, 17, 23, 103, 105
عبيد سلامة · 102
عزام عبد الرحمن · 89, 91
غ
غنسول اوغست · 45
غورو هنري جوزيف · 27
ف
فيصل بن الحسين · 26, 27, 30, 35
فيليب لويس · 25, 38, 40
فينو بيير · 33
فيوليت موريس · 18, 19, 70
ق
قداش محفوظ · 79, 82, 97
ك
كاترو جورج · 47, 48, 49, 50, 57, 59, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 72, 73, 74, 77, 78
كاربونيل لستراد · 81, 92
كارسنتي برنارد · 52
كحالة نور الدين · 94
كلارك مارك واين · 52
كليمانصو جورج · 26, 27
كوبر داف · 63, 85
ل
لمبسون مايلز · 48, 57
لوبو جورج · 37, 39
لوتورنو روجي · 81, 97
لويس الرابع عشر · 24
ليتلتون اوليفر · 59, 64
ليهي وليام · 53

م
ماسط شارل · 52
ماكميلان هارولد · 52, 65, 66
ماهر علي · 46
مايتلند ولسون · 15, 26, 49, 50, 59, 67
محمد بوراس · 20
مردم بك جميل · 8, 32, 34, 71, 73, 76, 84, 85, 86, 87, 102
مردم بك سلمى · 8, 32, 34, 71, 73, 76, 84, 85, 86, 87, 102
مصالي الحاج · 14, 15, 19, 21, 37, 71, 79, 82, 105
مكماهون هنري · 25
مكميلان · 52, 65, 66
مورفي روبرت · 52, 53, 66
مونتصابير · 52
مونتغمري برنارد · 42, 43, 55
ميتللهوزر اوجين · 39
ميليران الكسندر · 15
ن
نوشي اندري · 39, 97
نوغيص اوغست · 52
ه
هتلر ادولف · 20, 43, 55
هنانو ابراهيم · 29, 31, 32
هنيدي توفيق · 94
هول كوردل · 56
هيريو ادوارد · 15
هيللو جان · 56, 77
و
وادسورث جورج · 57
وايزمان حاييم · 26
ولد بن عودة الطالب شعيب · 83
ويفل · 42
ويلسون وودراو · 15
ي
ياسين كاتب · 99

فهرس الأماكن والبلدان

ا

الاتحاد السوفياتي · 99, 100
الاوراس · 14
الجزائر · 4, 5, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 21, 22, 23, 25, 26, 38, 42, 43, 44, 45, 47, 55, 56, 57, 58, 60, 64, 65, 70, 71, 72, 73, 74, 77, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 88, 89, 91, 96, 98, 100, 101, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 114, 115, 116, 117
الدار البيضاء · 55, 57
السعودية · 37, 38
السنغال · 104
السويداء · 29
العراق · 36, 44, 49, 50, 52, 60, 78, 109
العلمين · 45, 47, 59, 60
القاهرة · 33, 36, 65, 89, 94, 101
القليعة · 54
اللاذقية · 29, 37
المدية · 14
المرسى الكبير · 47, 48, 57
المغرب · 3, 13, 55, 56, 60, 64, 65, 72, 82, 86, 89, 91, 99, 103, 104, 108, 111
المنيعة · 77
النمسا والمجر · 27
الهقار · 14

الهند · 26, 37, 45, 49, 104
اليابان · 82, 112
ايطاليا · 7, 21, 29, 44, 47,
55, 57, 70, 82
ب
باريس · 15, 16, 20, 21, 28,
35, 36, 41, 42, 44, 52,
68, 80, 92, 102, 112,
115
بجاية · 85
برازافيل · 75, 77, 84
برج بوعريريج · 14
برلين · 52, 82, 112, 116
بريطانيا · 10, 27, 28, 43, 50,
51, 52, 56, 60, 61, 63,
64, 65, 66, 67, 68, 69,
70, 78, 79, 83, 94, 95,
99, 100, 102, 112
بسكرة · 86, 89
بعلبك · 54
بغداد · 27, 33, 43, 52
بلاد الشام · 27, 32, 33, 38,
39, 52, 111
بلغاريا · 14
بنزرت · 91
بوسعادة · 87
بوغار · 54, 77
بولونيا · 102
بيروت · 26, 27, 28, 30, 31,
33, 41, 49, 50, 54, 57,
61, 62, 66, 68, 71, 83,
85, 91, 92, 95, 99, 102,
112
ت
تبسة · 85
تدمر · 54
تركيا · 49, 50, 109
تلمسان · 87, 90
تونس · 13, 47, 55, 57, 70,
82, 104, 105
ج
جبل طارق · 70
جزر الانتيل · 48

ح

حلب · 25, 29, 34, 35, 40, 52, 92

حماه · 50, 54

حمص · 34, 53, 54, 93, 116

حيفا · 54

د

درعا · 53

دمشق · 10, 16, 28, 29, 30, 31, 32, 36, 42, 50, 52, 53, 54, 66, 92, 93, 95, 109, 110, 112, 116

دير الزور · 54, 93

س

سان ريمو · 29

سان فرانسيسكو · 95, 101

ستالينغراد · 7, 59

سطيف · 87, 88, 89, 90, 108, 116

سعيدة · 86

سكيكدة · 54, 86

سوريا · 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31, 33, 34, 35, 36, 38, 40, 41, 42, 44, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 56, 57, 58, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 73, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 109, 110, 112, 114, 116, 117

سوق اهراس · 86

سيدي بلعباس · 86

ش

شمال افريقيا · 56

ص

صور · 54, 107

صوفيا · 14

صيدا · 54

ط

طهران · 52

ع

عبدان · 50

عكا · 53, 54, 60, 63, 64

عنابة · 86

غ

غينيا · 104

ف

فردان · 14

فرنسا · 4, 6, 7, 10, 12, 13, 14, 15, 16, 17, 18, 19, 20, 21, 22, 23, 27, 29, 31, 32, 34, 36, 38, 39, 41, 42, 44, 45, 48, 49, 51, 52, 53, 54, 58, 60, 61, 63, 64, 66, 68, 69, 70, 72, 74, 75, 77, 78, 79, 80, 82, 83, 84, 86, 91, 94, 96, 97, 98, 99, 101, 102, 103, 105, 108, 109, 112, 114, 115

فلسطين · 24, 25, 28, 44, 49, 50, 67

ق

قالمة · 87, 90, 116

قسنطينة · 20, 71, 75, 88

قصر الشلالة · 77

ل

لبنان · 24, 26, 27, 29, 30, 41, 44, 49, 50, 53, 54, 56, 60, 61, 62, 67, 79, 83, 97, 101, 104

لندن · 41, 52, 83, 109

ليبيا · 44, 60

م

مدغشقر · 104

مستغانم · 85

مصر · 26, 44, 50, 51, 60, 64, 68, 78, 97, 99

مليانة · 86

موسكو · 99

ميسلون · 29, 31
ن
نيويورك · 89, 97
و
واشنطن · 101
وهران · 47, 55, 56, 57, 71,
75

فهرس الملاحق

الملحق رقم (01) بعض الشخصيات الجزائرية التي ورد ذكرها في البحث
الملحق رقم (02): الإنزال في شمال إفريقيا
الملحق رقم (03): القوات الفرنسية المشاركة في العدوان على الجزائر
الملحق رقم (04): بداية مظاهرات 8ماي في سطيف، الجزائر
الملحق رقم (05): مشاهد من العدوان على الجزائر
الملحق رقم(06): جزائريون في المحتشدات
الملحق رقم(07): المجال الجغرافي للعدوان على الجزائر(أ)
الملحق رقم(08): المجال الجغرافي للعدوان على الجزائر(ب)
الملحق رقم(09): التقسيم الإداري الحديث لسوريا
الملحق رقم(10):شخصيات الكتلة الوطنية و توقيع معاهدة 1936
الملحق رقم(11):بعض الشخصيات السورية الفاعلة ذات صلة بالموضوع
الملحق رقم(12): المجال الجغرافي للعدوان على سوريا
الملحق رقم(13): شخصيات فرنسية وبريطانية ذات صلة بالموضوع مع الرئيس السوري.
الملحق رقم(14):مبنى البرلمان قبل وبعد القصف
الملحق رقم(15): بعض آثار العدوان على مبنى البرلمان السوري
الملحق رقم(16): آثار العدوان داخل قاعة اجتماعات البرلمان وتدمير سجن القلعة
الملحق رقم(17): صور و قائمة شهداء البرلمان السوري

الملحق رقم(18): جثث بعض شهداء البرلمان السوري
الملحق رقم(19):شخصيات فرنسية ذات صلة بالموضوع
الملحق رقم(20):شخصيات أمريكية ذات صلة بالموضوع
الملحق رقم(21):شخصيات بريطانية ذات صلة بالموضوع
الملحق رقم(22):شخصيات ألمانية ذات صلة بالموضوع

فهرس المحتويات

المقدمة.....03
الفصل التمهيدي: الجزائر وسوريا بين 1919 و 1939.....05
1 – الجزائر بين 1919 و 1939.....05
1 – 1 الجزائر و الحرب العالمية الأولى.....05
1 – 2 إصلاحات 1919 ومواقف النخبة الجزائرية.....09
1 – 3 النضال السياسي في الجزائر حتى 1936.....11
1 – 4 من المؤتمر الإسلامي إلى منع النشاط السياسي عشية الحرب العالمية الثانية.....14
1–5الوضع الاقتصادي والاجتماعي وانعكاساته على العلاقة الجزائرية – الفرنسية.....19
2 – سوريا بين 1919 و 1939.....23
2 – 1 سوريا و الحرب العالمية الأولى.....26
2 – 2 الانتداب الفرنسي و تقسيم سوريا.....28
2 – 3 المقاومة الشعبية السورية.....31
2 – 4 النضال السياسي حتى سنة 1936.....33
2 – 5 معاهدة 1936 بين سوريا وفرنسا ومصيرها.....36
الفصل الأول: الحرب العالمية الثانية في الجزائر و سوريا حتى 1942.....43
1 – 1 - موقف الجزائريين والسوريين من الحرب العالمية الثانية.45
1 – 2 - هزيمة فرنسا في الحرب و أثرها على البلدين.....48

1 – 3 - الجزائر و سوريا مسرحان للعمليات العسكرية خلال الحرب.....52
1-3- أ- عملية «كاتابلت »(المنجنيق) عام 1940 في الجزائر.....57
1-3-ب- عملية «اكسبورتر» (المصدّر) عام 1941 في سوريا.....59
1-3-جـ- عملية «تورش»(المشعل) عام 1942 في الجزائر.....67
الفصل الثاني: الحرب العالمية الثانية في كل من الجزائر و سوريا بين 1943 و 1945.....73
2–1- تغير ميزان القوة في بلاد العرب لصالح الحلفاء عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة.....75
2-1- أ - الصراع الفرنسي- البريطاني في سوريا 80
2-1- ب - الصراع الفرنسي- البريطاني في الجزائر.....90
2-2 - تطور مواقف الحركة الوطنية في الجزائر و سوريا.....91
2-2- أ – بيان فيفري 1943 و تداعياته.....91
2-2- ب –المفاوضات السورية الفرنسية و مسألة «القوات الخاصة.....100
الفصل الثالث: العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر و سوريا في ماي/أيار 1945.....105
3 – 1 انعكاسات نهاية الحرب العالمية العالمية الثانية على الجزائر وسوريا
3 – 2 وقائع العدوان العسكري الفرنسي و حصيلته.....107
3 -2- أ - العدوان العسكري الفرنسي على الجزائر8 ايار/ماي 1945 وحصيلته.....111

3-2-ب- العدوان العسكري الفرنسي على سوريا 29 ايار/ماي1945 وحصيلته.....119
3 – 3 الموقف الدولي من العدوان العسكري الفرنسي.....127
3 – 4 النتائج السياسية للعدوان.....137
3 – 5 توصيف العدوان العسكري الفرنسي في الكتابات الجزائرية و السورية.....139
-الخاتمة.....153
-الملاحق.....159
-قائمة المصادر والمراجع.....185
-الفهارس العامة.....193
-فهرس الاعلام.....195
-فهرس البلدان و الاماكن.....200
-فهرس الملاحق.....205

تصدير

يتعلّق موضوع الكتاب بالعدوان العسكري الفرنسي على الشعبين الجزائري والسوري في شهر ماي 1945.

وقع العدوان الأول على الشعب الجزائري يوم الثلاثاء 8 ماي في حين وقع العدوان الثاني على الشعب السوري يوم الثلاثاء 29 ماي أي في الوقت الذي وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في أغلب مناطق العالم وبدأت فيه البشرية تحتفل بعودة السلم. في الحالتين كان الضحية عربي مسلم و الجلاد واحد هو فرنسا الاستعمارية.

وفقا لمقاربة وصفية تحليلية يلقي الكتاب نظرة فاحصة على هذا الاعتداء المزدوج ضد الشعبين الجزائري و السوري ليخلص الى الآثار المترتبة على ذلك العدوان على مسار الكفاح الوطني في البلدين حيث أثمر في سوريا بنيل الاستقلال عام 1946 فتكون بذلك سوريا أولى الدول العربية التي نالت استقلالها بمعية لبنان، أما في الجزائر وعلى العكس من التوقعات الفرنسية أفضى العدوان الى نقلة نوعية في مسيرة الكفاح الوطني ليقترن العمل السياسي بالعمل العسكري.

معلومات حول الكتاب:
دار النشر المقيرحي-
الوادي-
الجزائر-
سنة النشر: 2021